الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا وأنها تحوى نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير.

ب- (وكالة الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا بأعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد إليه ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام فى البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد فى البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون وجعلها وقفًا على المدرسة الخانقاه التى أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الأمر على ذلك (٣١).

ووكالتا قايتباى(٣٢) الأولى بالأزهر خلف الجامع الأزهر (٣٣)، والثانية(٣٤) على الشارع الأعظم التجارى الرئيسى للقاهرة فى حينه بالقرب من باب النصر ، ووكالة المستخرج التى تقع بجوار قصر بشتاك والمطلة على شارع المعز لدين الله الفاطمى ، والتى اشتراها السلطان قانصوه الغورى من الشيخ شمس الدين أبى عبدالله محمد بن زين الدين عبدالقادر بن شمس الدين محمد الشهير بابن الموقع بمبلغ ٢٥٢٠ دينارا ذهبيا (٣٥).

هذا وفى نهاية عصر المماليك الجراكسة نجد قمة العمارة التجارية والنضج الهندسى والجمالى فى وكالة السلطان الغورى(٣٦) والتى تقع بشارع التبليطة خلف خان الزراكشة بالأزهر وهى تتكون من خمس طوابق (٣٧)، الأرضى والأول : حواصل لتخزين البضائع ، والثلاثة الباقية أروقة (رباع) لسكن التجار، وكل رواق يتكون من ثلاث طوابق ، يتم الاتصال بينها بسلم داخلى يتغير موقعه بين كل طابق وآخر ، وهى فى حالة ترميم وتجديد الآن(٣٨).

أما فى العصر العثمانى فقد زادت أعداد الوكالات ، ويكفى للتدليل على ذلك وجود عشر وكالات(٣٩) فى هذا العصر أى فى القرون (١٠-١٢هـ / ١٦-١٨م) بالإضافة إلى الوكالات القديمة السابقة .

كما ذكر المقريزى بعض الأسواق وهى قرينة الوكالات بينهما اتصال لاينقطع نذكر منها نقلا عنه (٤٠):

قال ابن سيدة والسوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق وفى التنزيل إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان الذكر والانثى فى ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شىء كثير جداً قد باد أكثرها وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق إلى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقًا أدركناها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتًا وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من أخبار الأسواق ما أجد سبيلا إلى ذكره إن شاء الله تعالى .

* (القصبة) قال ابن سيدة قصبة البلد مدينته وقيل معظمه والقصبة هى أعظم أسواق مصر وسمعت غير واحد ممن أدركته من المعمرين يقول أن القصبة تحتوى على اثنى عشر ألف حانوت كأنهم يعنون ما بين أول الحسينية مما يلى الرمل إلى المشهد النفيسى ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لايكاد أن ينكر هذا الخبر وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العادّ عن إحصاء ما فيها من الأنواع فضلا عن إحصاء ما فيها من الأشخاص وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر فى كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن والتى يوضع فيها الجبن والتى يأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعو الجبن من الخيط والحصر التى تعمل تحت الجبن فى الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوى والخيوط التى تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والأفاويه وغيرها فإن هذه الأصناف المذكورة إذا حملت من الأسواق وأخذ ما فيها ألقيت إلى المزابل ومن أدرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف لم يستكثر ما ذكرناه ، وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل أكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت بعد ما كانت مع سعتها تضيق بالباعة فيجلسون على الأرض فى طول القصبة بأطباق الخبز وأصناف المعايش ، ويقال لهم أصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض الحكام لمنعهم وإقامتهم من الأسواق لما يحصل بهم من تضييق الشوارع وقلة بيع أرباب الحوانيت وقد ذهب والله ما هناك ولم يبق إلا القليل وفى القصبة عدة أسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وهذه بعضها .

* (سوق باب الفتوح) هذا السوق فى داخل باب الفتوح من حد باب للفتوح الآن إلى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل أسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء أصناف الخضروات وليس هو من الأسواق القديمة وإنما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه إلى الآن بقية صالحة .

* (سوق المرحلين) هذا السوق أدركته من رأس حارة بهاء الدين إلى بحرى المدرسة الصيرمية معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه يقصد من سائر إقليم مصر خصوصًا فى مواسم الحج فلو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل وأكثر فى يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار فى الحوانيت بهذا السوق وفى المخازن ، فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق إلى محاربة الأمير شيخ والأمير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج إليه الجمال من الرحال والأقتاب وغيرها فإما لايدفع ثمنها أو يدفع فيها الشىء اليسير من الثمن فاختل من ذلك حال المرحلين وقلت أموالهم بعد ما كانوا مشهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقى منها ولم يتأخر فيه سوى القليل .

* (سوق خان الرواسين) هذا السوق على رأس سويقة أمير الجيوش قيل له ذلك من أجل أن هناك خانًا تعمل فيه الرؤس المغمومة ، وكان من أحسن أسواق القاهرة فيه عدة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين حانوتًا مملوءة بأصناف المآكل وقد اختل وتلاشى أمره .

* (سوق حارة برجوان) هذا السوق من الأسواق القديمة وكان يعرف فى القديم أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش وذلك أن أمير الجيوش بدر الجمالى لما قدم إلى مصر فى زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التى عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبدالظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر وهى من باب حارة برجوان إلى قريب الجامع الحاكمى وهكذا نشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فإن فيها والحد القبلى ينتهى إلى سويقة أمير الجيوش وسوق حارة برجوان هو فى الحد القبلى من حارة برجوان وأدركت سوق

حارة برجوان أعظم أسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان حمامات يعنى حمامى الرومى وحمام سويد فإنه كان يدخل إليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذى لايحتاج ساكنها إلى غيره وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين إلى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعى لحم الضأن السليخ وبياعى اللحم السميط وبياعى اللحم البقرى وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين وكثير من بياعى الأمتعة حتى أنه كان به حانوت لايباع فيه إلا حوائج المائدة وهى البقل والكراث والشمار والنعناع وحانوت لايباع فيه إلا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التى تسرج فى الليل وسمعت من أدركت أنه كان يشترى من هذا الحانوت فى كل ليلة شيرج مما يوضع فى القناديل بثلاثين درهما فضة عنها يومئذ دينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النىء والمطبوخ إلى ثلث الليل الأول ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب أكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها أثر وتعطب بأسره بعد سنة ست وثمانمائة ، وصار أوحش من وتد فى قاع بعد أن كان الإنسان لايستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهاراً إلا بمشقة وكان فيه قبانى برسم وزن الأمتعة والمال والبضائع لايتفرغ من الوزن ولايزال مشغولا به ومعه من يستحثه ليزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة أنشأ الأمير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعًا وحوانيت فتحابى بعض الشىء وقبض على طوغان فى سنة ست عشرة وثمانمائة .

العناصر المعمارية للمنشآت التجارية:

وردت فى المصادر مسميات عديدة لنوع من المنشآت التجارية كالخان -الفندق- القيسارية - الوكالة ، ولم توضح المصادر أية فروق بينها جميعا ، لاسيما وأن المطلوب من بنائها هو إيجاد مكان لعرض السلع ، وإقامة التجار الأغراب عن المدن فى راحة تامة ... وعقد الصفقات التجارية الكبيرة وقد خطط المهندس المعمارى لتلك المنشآت أن يكون فى كل منها :

١- حوانيت لعرض البضاعة .

٢- فناء أوسط يتم إنزال البضائع به .

٣- الحواصل لتخزين البضاعة بها .

٤- مصادر المياه اللازمة للمنشأة (مساه الشرب، الصرف الصحى) .

٥- الأروقة أو الرباع لإقامة التجار، أو عامة الناس.

هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن معظم الوكالات الكبيرة فى العصر المملوكى وما بعده كانت تتركز فى حى الأزهر وبولاق حيث المساحة والأرض الواسعة بالإضافة إلى، أن بولاق كانت ميناء لاستقبال السفن التجارية القادمة من الشمال أو الجنوب فى نهر النيل حيث تمتلئ الوكالات بالسلع والبضائع .

أما وكالات العصر العثمانى فمعظمها يقع وسط المدينة بالقاهرة العثمانية ... وإذن فوكالات العصر المملوكى بشقيه وخاصة من نهاية ق٩هـ وأوائل العاشر نهاية ق١٥ أوائل ق١٦م كانت تتكون من خمسة طوابق ، وفناء كشف سماوى مستطيل الشكل محاط بممجاز دائرى ، يطل على هذا الفناء بائكة من العقود المحمولة على أعمدة ودعامات، ويفتح على هذا المجاز حواصل الطابق الأرضى والأول، أما الطوابق الثلاثة الباقية فتحتوى على أروقة خصصت لسكن التجار أو الأهالى، وتلمس كل هذا فى وكالة الغورى ، وهى بحالة جيدة الآن [٤١]، وأما مدخلها فيفتح على شارع التبليطة (شارع الشيخ محمد عبده الآن) .

وهذا الشكل والأسلوب الكائن بوكالة الغورى * وجد أيضا فى وكالة الخروب[٤٢] ووكالة سليمان[٤٣] باشا ووكالة حسن باشا الوزير [٤٤].

أما وكالات العصر العثمانى فهى أصغر حجما عنها فى العصر المملوكى كما أشرنا ، ويمثل هذا النوع من الوكالات وكالة جمال الدين الذهبى، فهى تتكون من فناء كشف سماوى مستطيل الشكل يفتح عليه حواصل الدور الأول مباشرة ، وذلك بسبب صغر المساحة المقام عليها الوكالة..[٤٥]. ونجد على مثالها وكالة ذو الفقار (ق١٢هـ/ ١٨م) .

ومهما يكن من أمر فإن وكالات هذا العصر - بصفة عامة- تتكون من فناء أوسط مستطيل عادة أو مربع الشكل، يحيط به فى الطابق الأرضى مجموعة من الحواصل مقبية السقف وحوانيت ، ومدخل الوكالة مميز بزخارف حجرية وهندسية ، وقد جعلت الحواصل الداخلية مخازن للبضائع ، والحوانيت الخارجية الواقعة على الشارع المسلوك لعرض البضائع فى الخارج على المارة من الناس.

---

* راجع ترجمته فى هذا البحث ، د. حسن الباشا : قنصوة الغورى وعمائره فى موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية جـ١ ص٣٤١-٣٥٧ ط١ سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة.

أما الأدوار العليا فكانت سكنا للتجار الوافدين بتجارتهم إلى القاهرة ، وأكثر من ذلك أنها جعلت سكنا للعامة ، أو رباعا يسكنها الأهالى كما ذكر ذلك المقريزى -وأشرنا إلى ذلك- عند ذكره لوكالة قوصون التى كان يعلوها ربع يشتمل على ٣٦٠ بيتا يسكنها حوالى أربعة آلاف شخص وعادة ما يكون بالوكالة صهريج يمد السكان بالمياه اللازمة ، ويوجد بها أحيانا مصلى أو مسجد يكون بوسط الوكالة ..[٤٦].

وبشئ من التفصيل أتناول كل عنصر من العناصر السابقة وهى:

١- الحوانيت : جمع حانوت (دكان) ويتكون عادة من مساحة مستطيلة الشكل، وسقفه قبو مغطى عادة بالبلاط الكدان أو الحجر الجيرى واللون الأبيض أو الأصفر أو الرمادى أو المجزع [٤٧]، وتوجد الحوانيت فى كل منشأة تجارية لعرض السلع والبضائع الكائنة بها، وعادة ما تكون مفتوحة على الشوارع الرئيسية التى يسلكها المارة لتلفت أنظارهم وتجذبهم لابتياع هذه السلع ويظهر ذلك واضحا فى وكالات قايتباى والغورى وجمال الدين الذهبى وغيرها.

٢- الفناء الأوسط : كان على هيئة مستطيلة الشكل وهو قاسم مشترك بين جميع المنشآت التجارية وكان يوجد به مبان دينية فى وسطه، فالفنادق التى كانت بالثغور بنيت فى وسطها الكنائس لتأدية الطقوس للتجار المسيحيين، وكذلك المسجد أو المصلى لإقامة شعائر الإسلام وفروض العبادة فى مكان عملهم وبجانب تجارتهم.[٤٨]. أو فوارة أو فسقية فى الوسط [٤٩]، وأحيانا تكون به حديقة صغيرة كما فى بعض الفنادق .

٣- الحواصل : جمع حاصل وهو المخزن[٥٠] وعادة ما تكون فى الطابق الأرضى من الوكالة أو الفندق أو القيسارية أو الخان وعادة ما تكون مستطيلة الشكل سقفها قبو نصف إسطوانى ذو باب بمصراع واحد يفتح على الصحن يعلوه نافذة للتهوية والإضاءة ، وأحيانا تشمل الحواصل الطابق الأرضى والأول الذى يليه ، واستخدمت فى خزن السلع لحفظها [٥١].

٤- مصادر المياه : كانت بالمنشآت التجارية عادة آبار توجد فى أفنيتها أو فى «الدركاة» وهو المكان الذى يلى المدخل مباشرة، وقد يلحق بأحد أركان المنشأة سبيل لشرب المارين على الطريق ، ولإمداد ساكنيها بالمياه العذبة الصالحة للشرب والوضوء، وبها صهريج[٥٢] يملأ سنويا فى موسم الفيضان ، وقد يوقف المنشىء الوكالة على مصالح السبيل لاستمرار تأدية وظيفته كصدقة جارية للتقرب إلى الله تعالى كما تنص على ذلك بعض الحجج الشرعية.

٥- الأروقة : جمع رواق ويتكون من إيوان[٥٣] أو إيوانين متقابلين بينهما دور قاعة[٥٤] فى الوسط وشبابيك وطاقات مطلة على الواجهة الرئيسية أو مطلة على الفناء الأوسط الداخلى كما فى وكالة الغورى بشارع التبليطة بالأزهر ومنافع وحقوق [٥٥].

وعادة ما تكون هذه الأروقة بالأدوار العليا تعلو الحواصل كالكائن فى وكالة الغورى حيث يسكن التجار علوها بعد أن يضعوا بضائعهم فيها، واستمر ذلك فى العصر المملوكى وامتد فى العصر العثمانى بتلك المنشآت، بل أكثر من هذا نصت بعض الوثائق على إنشاء رباع فوق المنشآت التجارية ، وذلك للاستفادة القصوى منها لملاكها[٥٦] وقد ذكر المقريزى أن وكالة «قوصون» كان يعلوها ربع يتكون من ٣٦٠ بيتا (رواقا) يسكنها أربعة آلاف شخص ما بين رجل وامرأة وصغيراً[٥٧].

موظفو المنشآت التجارية :

يحتاج العمل فى المنشآت التجارية إلى جيش من الموظفين فى وظائف كثيرة ومتنوعة ، ولابد لاستمرارها فى أداء وظيفتها الحيوية اليومية المنوطة بها، لابد من وجود موظفين وسنرتبهم حسب أهميتهم :

١- القنصل . ٢- السماسرة والدلالون . ٣- البواب . ٤- المتسبب . ٥- المثمن . ٦-المترجم أو الترجمان . ٧- العتالون أو الحمالون . ٨- ناظر الأسواق . ٩- كاتب الجرايد بالسوق - مدولب الوكالة . ١٠- شاد السوق . ١١- الشهود العدول أو شهود الوزن . ١٢- العاشر أو العاشور أو مستوفى الضريبة .

وأفصل فى شرح هذه الوظائف بعض التفصيل :

١- القنصل : هو النائب عن دولته فى دولة أخرى يرعى حقوقها وتجارتها ويدافع عن رعيتها وهو دون الوزير المفوض ومرتبته دون مرتبة السفير [٥٨]، وأصلها اللاتينى Consui يعنى مستشار ، ويعنى بها فى زماننا هذا ممثل الدولة[٥٩] وقد اصطلح أرباب السياسة على أن القنصل مأمور ترسله دولة إلى دولة أخرى أجنبية لحماية حقوقها وتجارتها وتبعتها ، وكان فى الدولة الرومانية صاحب المقام الأول من الولاة وتكون له سلطة الملك لمدة سنة[٦٠].

بينما يرى القلقشندى : أن القنصل هو الذى يرعى مصالح دولته فى البلد الموجود به، وهو من ألقاب زعماء النصارى[٦١] وتلك وظيفة لاتوجد إلا فى الفنادق الموجودة بالثغور[٦٢] وقد

يعقد القنصل اتفاقيات تجارية هامة نيابة عن بلده، ففى عهد السلطان برسباى وفد إلى مصر مبعوث فلورنسا لعقد اتفاق تجارى مع السلطان برسباى، فيصف المراحل التى مرّ بها حتى وصل إلى رؤية السلطان ، حيث بدأ بمقابلة الدوادار .

٢- السماسرة والدلالون والمتسببون : جمع سمسار ودلال ومتسبب ، فالسمسار هو وسيط بين البائع والمشترى لتسهيل الصفقة وهذا اللفظ فارسى معرب أما السمسرة فهى الحرفة بعينها[٦٣].

وفى حديث قيس بن أبى عروة : «كنا قوما نسمى السَّماسِرَة بالمدينة فى عهد رسول الله ﷺ فسمانا النبى ﷺ التجار[٦٤] » . والسمسار فى البيع هو الذى يدخل بين البائع والمشترى متوسطا لإمضاء البيع . والسمسرة البيع والشراء[٦٥].

أما الدلال : فهو لفظ مرادف للسمسار ويعنى الجمع بين البيع والشراء، وهو ما ينادى على السلعة لتباع بالممارسة والحرفة منها هى الدلالة[٦٦] وجمعها دلالون [٦٧].

أما المتسبب فهو مفرد المتسببة وهم فئة من التجار وتقول العامة لما فى أيديهم «سَبُّوبَة» ويعرفهم ابن إياس بأنهم أشخاص يعملون فى هذه المهنة، كانوا يرتزقون عن طريق التجارة أو يقومون بدور الوساطة أو السمسرة بين البائع والمشترى[٦٨].

وهذه الوظائف منفرد أو مجتمعة وجدت فى المنشآت التجارية سالفة الذكر، وهم الوسطاء بين البائع والمشترى ومهمتهم هى تسهيل عقد الصفقات التجارية وإنجازها ، وكان لكل سوق سمسار معين يتبعه سماسرة يختص كل منهم بسلعة معينة[٦٩].

ولهذه الفئة صفات اتصفت بها حددتها كتب الحسبة وأوجبت عليهم أن يكونوا ثقاة من أهل الدين والأمانة وصدق القول، ولاينبغى لأحدهم أن يزيد فى سلعة ما ولايكون شريكا فيها، وأن يكون عف النفس واللسان ، بصيرا بالشىء المبيع حسناته وسيئاته ، يبصر المشترى بكل شىء عن المبيع ويراقب الله تعالى فى عمله [٧٠].

٣- البواب : هو الحاجب الذى يحجب الناس ويمنعهم من الدخول إلا بإذن وهو ملازم الباب والبوابة بتخفيف الواو وظيفة لحقت بالمنشآت المدنية فى العصور الوسطى وتعنى فى اللغة حافظ الباب أى حارسه، وإذن هى تطلق على الجزء ويراد به الكل أى المنشأة التى بها الباب وهو المدخل لهذه المنشأة [٧١]. وعلى شاغل هذه الوظيفة مراقبة الداخلين والخارجين . ويسهر على الحراسة ويفتح باب المنشأة فى وقت معلوم ويغلقه فى وقت معلوم من الليل أو بعد صلاة

العشاء، ويوقظ من يريد الإيقاظ فى وقت طلبه، ويحصل الإيجار من السكان، ويلزمه المبيت بالقرب من الباب ليسمع من يطرقه ويفتح للسكان . عندما يتأكد من سماع صوتهم، ويوقظ السكان وينبهم إذ شب حريق فى المكان[٧٢] هذا وقد تدهورت أحوال صاحب هذه الوظيفة عندما تخربت بعض الوكالات وأصبح الناس يدخلونها ولا بواب بها [٧٣].

٤- المترجم أو الترجمان : هو الذى بيّن الكلام وأوضحه أو هو المفسر للسان ونقل الكلام من لغة إلى أخرى[٧٤] وكلمة ترجمان مرادفة للمترجم ، والجمع تراجم وتراجمة، ويظهر أن الترجمان نوعان : أحدهما من أهل البلد بصير بلغة الأغراب وثانيهما من الأجانب بصير بلغة أهل البلد الذى يزوره ويسمى ترجمان الافرنج[٧٥].

٥- المثمن : وهو الذى يقوّم السلعة ويحدد ثمنها حسب درجة جودتها من عدمه [٧٦]، وعمله فى المنشآت التجارية وفى العصور الوسطى كان يقوم بتقدير الشىء المبيع ليمكن مقايضته بالمقابل له ، وربما كان موظفا حكوميا مهمته مراقبة عملية تبادل السلع والتجارة وحركتها فى المنشأة وغالبا ما كان ذلك فى الفنادق أكثر [٧٧].

٦- العتّال أو الحمّال : هو الذى يحمل الأشياء على كتفه أو رأسه أو ظهره وينقلها من مكان إلى آخر بأجرة[٧٨] ومن الطبيعى أن توجد تلك الوظيفة فى المنشآت التجارية والأسواق لحمل البضائع لمن يشترون[٧٩]. وقد وجدت هذه الوظيفة على شاهد قبر مؤرخ سنة ٢٤٢هـ ٨٥٦م باسم سعيد بن ميمون الحمّال وعلى النسيج والخزف ذى البريق المعدنى بمتحف الفن الإسلامى[٨٠].

٧- القبانى: نسبة إلى القبّان وهو ميزان بالغ الدقة فى تقدير الوزن[٨١] ومن المؤكد أن وظيفة القبانة وجدت فى المنشآت التجارية حيث يعتبر صاحبها طرفا محايدا بين البائع والمشترى ، وكان من صفاته : أن يكون ثقة مشهورا بالأمانة دينًا ، وعلى المحتسب ألا يمكن القبان من الوزن أو الكيال من الكيل أو القياس من القياسة أو غيرهم ممن يندرج عملهم تحت تلك الوظيفة إلا إذا كان مشهودا له بثبوت أمانته وعدالته[٨٢].

وقد وجدت كتابة أثرية على ميزان قبان محفوظ فى متحف الفن الإسلامى نصها : صاحبه محمد بن محمد القبانى عمل الفقير أحمد البرنبالى [٨٣].

٨- مدولب الوكالة: هو الشخص الذى يقوم بادارة الآلة المعروفة بالدولاب وهو اسم آلة تديرها الدابة لسقى الأرض، وجمعه دواليب لفظة فارسية معربة ، وقد وجدت هذه المهنة فى الوكالات وكذلك الحمامات ومطابخ السكر وغيرها [٨٤].

٩- شاد السوق : صاحب هذه الوظيفة مكلف بالتفتيش والإشراف على إدارة السوق ومنها شاد البحر أى له حق الإشراف على الموانىء أو شاد الجوالى وشاد الأقواد وشاد الأوقاف وشاد الخاص وشاد الشوانى وشاد المسابك وشاد المهمات وشاد العمائر وشاد الدواوين ... الخ وقد شاع استخدام هذه اللفظة فى دولة المماليك، وهو اسم فاعل من شد الشىء بمعنى قواه ومتّنه ، ويبدو أن هذه الوظيفة كانت معاونة للمحتسب فى الأسواق (٨٥).

١٠- الشهود العدول أو شهود الوزن : أصحاب هذه الوظيفة كانت مهمتهم الشهادة على صحة عقد البيع فى العمليات التجارية والشهادة أمام القضاة بصدق ذلك من عدمه فى حالة النزاع والخصومة بينهم، وكان لهم ديوان خاص بهم وقد عبر القلقشندى عنهم بالشهود والمعدلين(٨٦) وعرفوا أيضا بالعدول أو العدل أو المعدل(٨٧) وكانت المحاكم تعينهم بعد أن تتأكد من ثبوت عدالتهم واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح والتعديل ليحصل لهم الوثق بهم (٨٨). وهم أنواع كثيرة فمنهم : شهود السبيل ، وشهود القيمة ، وشهود المماليك وشهود البيمارستان ، وشهود دواوين المال وشهود الطراز، وشهود دار الضرب وشاهد الخزانة... الخ(٨٩).

١١- ناظر الأسواق : هو الرئيس والمسئول الأول عن كل ما يجرى فى الديوان، ويرجع إليه الموظفون ، ولابد من توقيعه الرسمى على الإيراد والمنصرف فى الديوان، ولديه جميع البيانات الخاصة بالمتحصلات والمصروفات والبواقى والفوائض والمتأخرات(٩٠) وصاحب هذه الوظيفة وعمله لابد أن يكون فى أماكن البيع ، ويعاون المحتسب ومن مهامه الإشراف على العمليات التجارية ومراقبة الأسواق(٩١) وأنواع النظارة كثيرة منها : نظارة : الجيش ، نظارة الخاص ، ونظارة المواريث ونظارة الزكاة ونظارة الكسوة ونظارة الدواوين ، وناظر النظار وغير ذلك(٩٢).

١٢- كاتب الجرائد بالسوق : وظيفة كتابة أسماء العملاء فى السوق على قوائم يمكن الرجوع إليها عند الحاجة(٩٣) والجرائد جمع جريدة وهى الصحيفة التى تسجل فيها المنشورات ، ولهذه الوظيفة مسميات كثيرة منها : كاتب الجيش وكاتب السر...الخ (٩٤).

١٣- العاشر أو العاشور : ووظيفته تحصيل العشور أو المكوس على البضائع المستوردة وعمله ومكانة فى الوكالات والأسواق وعلى بوابات القاهرة (بوابة المتولى، وباب الفتوح وباب النصر وغيرها ، وآدابه ومظاهر رفقه فى استيفاء العشور تحدثت عنها كتب الحسبة وكتب الفقه

بالتفصيل وقد تجلى ذلك فى تنوع الاستيفاء وفى التفريق بين ما تنقسم عنه ومالاتنقسم وفى أخذ البدل مكان العين وتجلت أيضا فى تحريم القبالة وهى تضمين مناطق الجمارك للأفراد ، ويتم الإشراف عليها منهم بدلا من إشراف الدولة، ولايخفى أن ذلك يدعو إلى تعسف الأفراد المشرفين على استيفاء الضرائب أملا فى الحصول على أرباح أكبر(٩٥).

هذا ... لقد كانت الوكالات أسواقا كبيرة للجملة ، ولايخفى أن البيع أو الشراء بها مما يصحبه دواما تبادل الأفكار ونمو الثقافات وانتقال الحضارات ، ولولا طرق القوافل(٩٦) البرية والبحرية التى ترتبط بالقاهرة لما ازدهرت فى وقت من الأوقات تلك الحضارة الإسلامية.

وسنترجم لبعض أصحاب الوكالات الكبيرة الشهيرة لبعض السلاطين والتى ما زالت موجودة إلى الآن . ونحن نترجم لثلاثة من سلاطين المماليك الجراكسة أصحاب الوكالات الشهيرة بالقاهرة وهم :

السلطان برسباى الدقماقى :

هو الملك الأشرف برسباي بن عبدالله أبو النصر الدقماقى الظاهرى الجركسى ، سلطان البلاد المصرية والشامية والثامن من ملوك الجراكسة.

أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القريم ، فاشتراه بعض التجار متوجها به إلى بلاد الشام، فاشتراه فى الطريق نائب ملطية الأمير دقماق المحمدى، ثم أرسله هدية إلى الظاهر برقوق ضمن هدايا أخرى هائلة.

وقد أعتقه برقوق وتنقلت به الأحوال ليكون ساقيا فى دولة الناصر فرج ، ثم فرّ إلى نوروز وشيخ إلى أن قتل فرج ، فعاد معهما إلى مصر، ولازال فى الترقى والصعود حتى أمير مائة ومقدم ألف، فولى نيابة طرابلس ثم عزل وقبض عليه وسجن . ثم عاد إلى مصر صحبة السلطان ططر، إلى أن مات ططر ، فأصبح هو المتكلم على ابنه الصغير (٩٧).

لكن رأى أهل الدولة وأصحاب الحل أو العقد فيها أن تكون السلطة لشخص كبير يفهم الخطاب ويرد الجواب ، وينظر فى أحوال الناس، ويدير الأمر، وينصر المظلوم. وقد وقع اختيار كبار الأمراء على «برسباى» لكونه متصفا بصفات الكمال من الدين والفقه والمهابة وطهارة الذيل واللسان ، وقوة القلب والجنان»(٩٨). ولقب بـ «الأشرف» وكنوه بـ «أبى النصر»، وبولايته سكنت الفتن واستقرت الأحوال، فتولى السلطنة بذلك يوم الأربعاء ٨ من ربيعَ الآخر ٨٢٥هـ ١٤٢٢م»(٩٩).

صفاته : كان «برسباى» ملكا جليلا مهابا، عارفا متواضعا حسن الخلق، شهما شجاعا ذا شيبة نيرة وهيئة حسنة متجملا فى حركاته، لايتعاطى شيئا من المسكرات، محافظا على ناموس الملك، محبا لجمع المال، مكثرا من المماليك، ويحب العلماء وأهل العلم.

من محاسنه : إبطال عادة تقبيل الأرض، وكانت هذه عادة من قبله من الملوك مكتفيا بتقبيل اليد، وحسن النقود حتى كانت نقوده من أجد الذهب والفضة. وكان الناس يرغبون فيها ويتكالبون عليها، وكان كثير البر والصدقات مع لين الجانب ، ولولا كثرة طمعه لكان عظيما من عظماء التاريخ(١٠٠).

ومن محاسنه : كذلك مرسومه إلى حاجب حجابه الأمير «قرقماس» سنة ٨٣٢هـ- ١٤٢٩م، بإراقة الخمور وحرق من الحشيشة المغيرة للعقول شيئا كثيرا، وتتبع مواطن الفساد ومنع الناس من الاجتماع بها(١٠١).

ومن محاسنه : أنه أدب الفرنج ، وحارب القبارصة فى ثلاثة غزوات أسر فى ثالثتها «جانوس» ملك قبرص وأتى به مكبلا بالسلاسل إلى مصر ذليلا وعلق خوذته على باب مدرسته الأشرفية ، ثم عفا عنه ورسم له بما يكفيه حتى فك أسره ورجع، وثبت أركان دولته فهابها الجميع (١٠٢).

أما عيوبه : فالمظالم التى أحدثها فى شهر المحرم ٨٣٢هـ- ١٤٢٨م وهى إلزامه للتجار العراقيين بدفع ثلاثة دنانير ونصف عن كل حمل يتبضعون به من تجارة الهند بمكة بدلا من حضورهم إلى القاهرة، وألزم سائر التجار بالحضور للقاهرة لدفع الجمارك على بضاعتهم، صحبة ركب الحج ، وعين أعوانه لحراستهم وحفظهم حتى لايستطيع أحدهم الفرار أو البقاء بمكة.

وألا ينصب قبانى لوزن بضاعة أحد من التجار بالاسكندرية، ومنع كافتهم من بيع البهار للفرنج الذين ألزمهم بشراء الفلفل السلطانى من جدة بسعر ١٢٠ دينا للحمل، وكانت قيمته مع التجار بثمانين ، فأخذ الفرنجة البضاعة إلى بلادهم ، ولم يشتروا أو يبيعوا للتجار، وحصل بذلك لهم ضرر كبير (١٠٣).

ولما بلغ السلطان مدى كثرة الربح الذى يحصل عليه تجار الشام فيما يجلبونه من الأقمشة أمر السماسرة بمنعهم من البيع ويكون كل هذا النوع متجرا للسلطان ورسم لأمراء الشام بعدم

دخول هؤلاء التجار إلى القاهرة بأقمشتهم ، فأرجعوهم بتجارتهم فى البرارى وخربت مدن الشام من هذا النوع من الأقمشة وغيرها وبطلت صناعة النسيج كذلك وضج الناس من هذه الأهوال.

وكذلك احتكر السكر ليباع فى المتجر السلطانى فلايجرؤا أحدا على شرائه إلا من متجر السلطان وكذلك احتكر الفلفل ، وبذلك تسبب فى خراب بيوت التجار وهجرهم القاهرة، وكان هو فى الحقيقة سببا فى اتجاه البرتغاليين من حينئذ فى البحث عن طريق بديل للتجارة غير مصر(١٠٤).

ومن عيوبه كذلك : توسيطه لطبيبيه (أى قطعه لوسطهما بالسيف) وهما الرئيس «زين الدين خضر» والرئيس «شمس الدين بن العفيف الأسلمى» ، وذلك عندما حصلت له «مليخوليا» ، فى مرض موته ، وذلك لشدته عليه ، وكان ذلك فى ٤ شوال سنة ٨٤١هـ- ١٤٣٧م فاستسلم الثانى وثبت حتى صار قطعتين ، أما خضر فراع وجزع جزعا شديدا ودافع عن نفسه وكثر صياحه وبكاؤه ، فتكاثروا عليه ووسطوه توسيطا مروعا وذلك لتلويه واضطرابه(١٠٥).

أما جلوسه للحكم، فقد كان يوم السبت والثلاثاء ، وكان يجمع معه القضاة الأربعة، ثم تركهم وجلس وحده . فقد نادى فى يوم ٢٧ جمادى الأولى سنة ٨٤٠هـ بجلوسه مع القضاة الأربعة بمجلسه : «من له ظلامة ، من قهر من غبن عليه بالأبواب الشريفة»(١٠٦). وكانت سفرته المشهورة إلى ديار بكر سنة ٨٣٦هـ- ١٤٣٢م .

وكانت وفاته يوم السبت ١٣ ذى الحجة ٨٤١هـ- ١٤٣٨م بعد أن اختلط عقله وابتلى بالصرع، وكانت مدة سبطنته ١٦ سنة و٨شهور، وكان سنه قد تخطى الخامسة والسبعين بخمسة أيام (١٠٧)، ودفن بتربته بالصحراء وكان السلطان قد رسم ألا تخرج امرأة من بيتها مطلقا، فكانت الغاسلة إذا خرجت إلى ميت أخذت ورقة من المحتسب فتجعلها على رأسها حتى تستطيع المرور من السوق، وسلط أعوانه بتشديد القبضة عليهن ، فمن خرجت ضربت ضربا مبرحا ، فامتنعت النساء من الخروج ووقفت الأسواق من بيع العطور، وكان ذلك برأى القضاة وذلك لخروجهن متبرجات متزينات ، كما رسم بألا يلبس فلاح زنطا مطلقا(١٠٨).

منشآته وحبه للعمارة : كان برسباى ممن يعشقون العمارة ولعا بها ، وتعتبر منشآته من أشهر آثار العصر المملوكى، فمن المدارس التى أنشأها:

١- المدرسة الأشرفية بالقاهرة [١٠٩]، عند سوق الوراقين بشارع المعز لدين الله الفاطمى[١١٠]، وسميت الأشرفية نسبة إلى منشؤها الأشرف برسباى، وتمت عمارتها على أكمل وجه ، وكان السلطان يقوم بنفسه بمباشرة العمل بها.

ففى يوم الخميس مستهل رجب ٨٢٦هـ- ١٤٢٣م رسم السلطان بهدم الحوانيت بخط الصنادقيين إلى رأس الحريريين وما جاورها من الأملاك والأوقاف لكى يبنى المدرسة والمسجد فى هذا المكان، وكان المشرف على عمارتها «الزينى عبد الباسط» ، فدفع ثمن الأملاك التى هدمت والأوقاف التى استبدلت، وأظهر اهتماما ونهضة كبيرة ، ونقل التراب والطين المتخلف من الحفر، ونقل الحجارة وعملها جيرا ، ورسم بعدد من الحمير والجمال لنقل ذلك.

وفى يوم السبت ٢٦ شوال من نفس هذه السنة ، ركب السلطان إلى مدرسته بعد الظهر ومعه جماعة قليلة من غير أن يعلم أحدا ، ودار فى المدرسة ورجع [١١١]. ولما تمت عمارتها وكملت عين بها ارباب الوظائف ، ففى يوم الخميس ٣ من رجب سنة ٨٢٧هـ عين لهذه المدرسة شيخا هو «علاء الدين على بن الرومى الحنفى»[١١٢]، وحضر السلطان والقضاة مجلس علمه، فبعد الاستفتاح خطب خطبة بليغة تضمنت مدح السلطان، ثم شرع يتكلم فى قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾(التوبة / آية ١٨) وخلع السلطان وأنعم عليه فى شهر رمضان بالقمح والسكر والذهب ، ولما سأله السفر للحجاز أعطاه هجينا ومبلغ من المال قدره ١٥٠ دينارا ذهبا [١١٣].

وفى ٩ رمضان ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م قرر السلطان بها ثلاثة دروس فجعل للشيخ «شمس الدين بن على القابانى الشافعى»[١١٤] درسا ومعه عشرون طالبا ، وشيخ المالكية «عبادة بن على ابن صالح الزرزاى»[١١٥] المولود ٧٧٧هـ- ١٣٧٥م ومعه عشرة طلاب، أما الحنابلة فشيخهم زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله المعروف بالزركشى [١١٦]، المولود سنة ٧٥٨هـ- ١٣٥٧ م ومعه عشرة طلاب [١١٧].

وقد أثبت السلطان وقفيتها وفى جدرانها بكتابة بارزة من بدن الحجر داخل المقصورة حرصا على بقاء أوقافها ، ومع هذا لم يفد ذلك فائدة ، فقد لحقها ما لحق بغيرها من الاضمحلال والضعف.

المرتبات : يصرف لإمام هذا المجتمع شهريا ألف درهم ، وثلاثة أرطال خبز يوميا وللخطيب خمسمائة درهم شهريا ، وثلاثة أرطال خبز يوميا ، وللمدرس الحنفى ثلاثمائة درهم فى كل شهر وستة أرطال خبز يوميا ، وللمدرس الشافعى مائة درهم شهريا وستة أرطال خبز يوميا ، ولمدرس مالكى وحنبلى كل منهما خمسون درهم شهريا وستة أرطال خبز لكل منها ، ولخمسة وستين طالبًا سبعة آلاف وخمسمائة درهم سهريا ، وخمسة وتسعون رطلا من الخبز يوميا (١١٨) ، ولخازن الكتب ٣٠٠درهم شهريا ، ٣ أرطال خبز يوميا .

الصوفية بالمدرسة الأشرفية : قرر السلطان برسباى فى حجة وقفه شيخا للصوفية رجلا من أهل العلم حنفى المذهب، موصوف بالديانة ، ويكون عالما بالأصلين قادرا على إلقاء الدروس على الطلبة، «من الكشاف للزمخشرى ، ومن المفتاح للسكاكى، ومن الهداية فى فقه مذهب الإمام أبى حنيفة ، ومن البزدوى فى أصول الفقه ». وعدد الصوفية الذين معه خمسة وستون صوفيا .

«يجلس لهم كل يوم بالجامع المذكور مدرسا بكرة النهار يقرؤون عليه شيئا من العلوم الشرعية على ما جرت به العادة بالقاهرة المحروسة.

ويصرف لهذا الشيخ فى كل شهر من الفلوس الجدد المضروبة والمختومة معاملة الدينار المصرية أو ما يقوم مقامها من النقود ، ثلاثة آلاف درهم، ومن الخبز القرصة المستخرج من دقيق ستة أرطال (١١٩).

وشرط برسباى أن يكون الطلبة والأساتذة كلهم من الصوفية، كما شرط أن كل من يتقاضى خبزا لابد أن يحضر درس التصوف بعد صلاة العصر، على أن يجتمعون هم وشيخهم من كل مذهب فى كل يوم بالجامع المذكور ويفرق عليهم الربعات الشريفة ، ويقرأ كل منهم حزبا من القرآن العظيم(١٢٠).

كما عين السلطان الشيخ «شرف الدين موسى الرومى» مكتبا لتعليم أرباب الوظائف وغيرهم تحسين الخط العربى «ويصرف له فى كل شهر من الشهور من الفلوس المذكورة ثلاثمائة درهم أو ما يقوم مقامها من النقود ، وفى كل يوم من الخبز القرصة ثلاثة أرطال ، ليتعاهد أرباب الوظايف بالجامع المذكور بتعليم رسم الكتابة على العادة فى مثل ذلك»(١٢١).

٢- مدرسة السلطان برسباى بسرياقوس: كملت عمارتها فى ربيع الآخر ٨٤١هـ ١٤٣٨م

وقفها على الصوفية بخانقاه سرياقوس على الطريق المسلوكة ، وقرر السلطان لها إمام للصلوات الخمس وخطيبا وقراء يتناوبون القراءة فى المصاحف . وقيل أنه تناهى فى نقشها وزخرفتها(١٢٢). وذرعت فجاءت خمسين ذراعا ، وبعض الباحثين يطلقون عليها مسجدا والبعض الآخر مدرسة ، والصحيح أنها مجمع دينى يشتمل مدرسة وكتاب وسبيل ومنبر للخطابة وخانقاه، للصوفية ، ويرى بعض الباحثين أن السبب فى بناء هذا المسجد أنه عند خروجه لغزو قبرص نزل بخانقاه سرياقوس سنة ٨٢٩هـ، ونذر لله إن أحياه وظفر بعدوه الملك (جان دى لوزنيان) وأسره، ليعمرن فى هذا المكان مدرسة وسبيلا ، ولما تم له النصر وفى بنذره، والمسجد مربع الشكل، مساحته بالمتر ١٤٧٤ .

وممن ولى مشيخة هذه المدرسة (الخانقاه) القاضى «محب الدين بن رسول الكرادى» القرمشى الأصل الحنفى، المعروف بابن الأشقر المتوفى يوم ١٢ رجب ٨٦٣ هـ- ١٤٥٩م(١٢٣).

٣- مسجده بباب النصر : قرر فيه إمام للصلوات الخمس، ومؤذن وعلى المؤذن - بالإضافة إلى عمله بإعلام الناس بوقت الصلاة - تعليم الأيتام الموجودين المقررين بالمسجد وهم عشرة(١٢٤).

على أن حجة وقف السلطان برسباى تجعل الإمام لهذا المسجد هو المؤذن وهو نفسه مؤدب الأطفال به ، وشرطت أن يعلمهم كتاب الله العزيز والخط العربى والاستخراج (الحساب)(١٢٥) على أن يصرف له فى كل شهر خمسة عشر درهما وزنا بصنج الفضة، ومن الخبز القرصة كل يوم رطلان.

على أن يصرف للأيتام جميعهم خمسة عشر درهما لكل واحد منهم فى الشهر درهما ونصف درهم، ولكل واحد منهما رطلان من الخبز القرصة يوميا بالسوية بينهم ، وللأيتام كذلك من الفلوس الجدد مائتى درهم ليكمل لكل يتيم منهم درهم ونصف فضة وعشرون درهما فلوسا فى كل شهر ورطلان خبزا فى كل يوم .

ويزيد على مبارك فى خططه إمام للمسجد ويعطيه مائة درهم فضة، وليس هذا الإمام موجودا بحجة برسباى، ولا أدرى من أين أتى بهذا الإمام ، ولعله اطلع على الحجة الأصلية ورأى فيها الإمام وسقط هذا الإمام من الكاتب لحجة الوقف المنقولة عن الأصلية(١٢٦).

٤- مسجد وتربة وزاوية بالصحراء(١٢٧): وقد عين السلطان برسباى لهذه المدرسة المجاورة

للتربة إماما وخطيبا ومدرسا حنفيا ومعه سبعة عشر طالبا. على أن يصرف لكل منهم: الإمام: خمسة وثلاثون درهما نقرة جيدة شهريا، وثلاثة أرطال خبز يوميا ، وفى نظير قراءته فى المصحف كل جمعة خمسون درهما شهريا .

الخطيب: مرتبه مائة درهم شهريا فقط وليس له خبز لأنه لايحضر يوميا .

المدرس الحنفي : مرتبه شهريا خمسة وسبعون درهما ، وثلاثة أرطال خبز يوميا .

أما الطلاب السبعة عشر: فلهم مائتا درهم شهريا، وواحد وخمسون رطلا من الخبز يوميا(١٢٨).

هذا وقد وقف السلطان برسباى على منشآته التعليمية وغيرها أرضا بالجيزة والغربية والدقهلية والمنوفية وأسيوط وغيرها وعقارات بالقاهرة وغيرها(١٢٩).

هذه تقريبا أهم منشآته ، وله منشآت مدنية كثيرة منها: قنطرة المجذوب بمدينة أسيوط فقد جاء فى محاضر حفظ الآثار أنها انشئت فى عصر برسباى ، وذلك لوجود رسم «فهد» على هذه القنطرة ، وهو الرنك (الشارة والعلامة) المميزة لبرسباى، ويؤكد ذلك ويرشحه ويقويه وجود أملاك برسباى فى زمام ناحيتى ربقة(١٣٠) ودرنكة والتى تقع حاليا بحوض «الزنار» الذى يقع جنوب هذه القنطرة مباشرة، بالإضافة إلى وجود أراضى أخرى فى ناحية قريبة من هذه المنطقة(١٣١).

وللسلطان برسباى منشآت أخرى منها تجديدات بالحرم الشريف والجامع الأزهر، وبعض المساجد بمصر، وغير ذلك من أنواع البر والقربات(١٣٢).

أما مجالس علمه فكانت لاتنقطع ومنها على سبيل المثال:

مجلس فى شهر شعبان ٤٢٧هـ- ١٤٢٤م، أمر السلطان فيه بقراءة صحيح البخارى من أول شعبان بحضور القضاة الأربعة من كل مذهب ، وحضر شيخ الإسلام «ابن حجر العسقلانى». وكان القارىء للبخارى -أمام السلطان- نور الدين السويفى، وحضر السلطان معهم فى القصر البرانى الكبير.

واستمر المجلس لمدة شهرين يحضره المذكورون كل يوم، وفى ختامه خلع السلطان على أكثر من عشرين فقيها ، لكل منهم صوف طرى بسنجاب مربع، وخلع على شمس الدين الهروى كاملية خضراء بفرو سمور وعلى القاضى «البدر العينى» بصوف سنجاب مربع، وكذلك على

القارىء والمادح . كما فرق على الطلبة من سائر المذاهب لكل واحد منهم أكثر من مائة فلوس، بالإضافة إلى كسوة أيتام مكاتبه والتوسعة عليهم فى شهر رمضان المعظم [١٣٣].

أما المجلس الآخر والذى حدث فيه نقاش واستفتاء : فكان فى ختم البخارى بالقلعة فى ٢٣ من شهر رمضان ٨٤١هـ- ١٤٣٨م ، فقد اجتمع فيه الأعيان وقضاة القضاة الأربعة على العادة وعدد من مشايخ العلم والطلبة، وقد سأل السلطان فى هذا اليوم عن كثرة الوباء وهل هذا بسبب ارتكاب المسلم للذنوب فيعاقبه الله بالطاعون أو غيره، وقد أجابه بعض العلماء : «أن الزنا إذا فشى فى الناس سلط الله عليهم الطاعون ، وأن النساء يتزين ويتبهرجن ويمشين فى الطرقات مهتوكات ، لم يخف منهن غير رقعة وجههن، وغالبهن سافرات الوجوه».

وهنا برز أحد العلماء متصديا لهذا العالم، بأن هذا الكلام على عمومه، ويجب أن يمنع فقط المتبرجات ، أما العجائز ، ومن ليس لهن من يقوم بمصالحهن فلايمنعن من الخروج .. واختار السلطان منع النساء مطلقا من الخروج إلى الأسواق، ظانا منه أن منعهن يوقى الطاعون، وقد اتفق مع قضاة الشرع على منع النساء من الخروج ، وشددوا فى ذلك، وهددوهن بالقتل ، ونادوا بذلك فى القاهرة المحتسب والوالى والمشاعلى، وصاروا يتبعون من خرجت فيشخنونها ضربا وسجنا حتى امتنعن نهائيا [١٣٤].

* * *

والثانى من أصحاب الوكالات بالقاهرة : السلطان أبو النصر «قايتباى»:

أعظم رعاة العلم والفن والعمائر على الإطلاق من السلاطين الجراكسة، الملك الأشرف الجركسى الظاهرى -نسبة إلى الظاهر جقمق- السادس عشر من ملوك الجراكسة،ويلقبه بدون حصر بالأشرف أبى النصر، خاتمة العظام ونابغة النظام، ولد فى ٨٢٠هـ ، واشتراه الأشرف برسباى من التاجر «محمود بن رستم» سنة ٨٣٩هـ، وحبس بطبقة الكازية من أطباق القلعة إلى أن ملكه جقمق وأعتقه وجعله خاصكيا ، ثم داوادار صغيرا، وصار يتدرج فى الوظائف ويكافح إلى أن نقله الظاهر تمربغا مكانه فى الاتابكية لما تسلطن ، ولم تطل أيامه فيها إلى أن تسلطن يوم الاثنين ١٢ رجب ٨٧٢هـ- ١٤٦٨م .

ولما استقر فى المملكة صار يعزل ويبقى، ويبذل ويأخذ ويتحرى لما يراه العدل، والتقريب والتهديد والإرشاد والتمهيد والتلبث والتثبت ، كان من رأيه وأسلوبه وتدبيره وتقريره مع حرمته الزائدة ، خافه الناس لعظمته ووافاه العظماء بالاسترضاء. سار فى الناس السيرة الحميدة واجتهد فى بناء المشاعر العظام وأزال الكثير من الفساق وقطاع الطرق والمناسر واستقرت الدولة غالب أيامه(١٣٥).

صفته : طويل القامة ، عربى الوجه، مصفر اللون، نحيف الجسد ، شائب اللحية، شجاعا عالما بأنواع الفروسية(١٣٦).

صفاته : كان غاية فى الثبات والتجلد وصدق العزيمة، رايته منتصبة دائما ، راقيا فى تربية مماليكه ، ويختار جلساءه ، عفيف يقظ بكاء ، يحب العلماء ويهوى مجالستهم، ويطالع كتب العلم والرقائق ، وسير الخلفاء والملوك ، ويسأل القضاة وغيرهم الأسئلة الجيدة. يكره التهويش ورفع الصوت العالى بدون فائدة (١٣٧)، يمدحه الشعراء فلايلتفت إليهم، ويقول لهم لو مدحتم النبى ﷺ لكان أفضل، كثير الاطلاع فى الكتب، له أذكار وأوراد.

عمائره الدينية والمدنية: له مبرات وعمارات شتى فى مصر والمدينة ومكة وغيرهما ففى مصر جدد بعض ما تهدم من جامع عمرو بن العاص ، والمشهد النفيسى، والإيوان النفيسى كله المجاور لقبة الشافعى، وعمر القبة والمنبر من جامع الناصرى وجملهما بالرخام . وعمر إيوان القلعة ، وربعين متقابلين وجامع بجزيرة الروضة، وجامع بقلعة الكبش، وجامع بباب القرافة، وإيوان القلعة الكبير، والميدان الناصرى بالنصارية بعد أن كان مهجورا ، كما أنشأ عدة قناطر وجسور بالأقاليم ، ورمم أيضا جامع الأمير زياد بالمنيا(١٣٨)، وجامع بسلامون الغبار (١٣٩)،

والمدرسة المتبولية بدمياط [١٤٠]، وحصنا بالاسكندرية ، ومدرسة بالقرب منه، وحصن ثغر دمياط وحصن ثغر رشيد[١٤١]. والمقام الدسوقى بدسوق ، والمقام الأحمدى بطنطا ، وزاوية اليسع والزاوية الحمراء ، والمقام الزيادى بين دهروط وطنبدا بالوجه القبلى[١٤٢]. وبطنبدا زاوية للعربان، وقناطر عشرة متلاصقة ، وجسور بالجيزة وبرجا محكما برشيد والاسكندرية ، وعدة سبل وعدة مكاتب للأيتام تعلوها ، أحدها بدرب الأتراك بالأزهر، وعند الفراغ منه سقى الناس السكر عدة أيام بجواره ربع متسع جدا، وخان للمسافرين ، وحوض لسقى الدواب وحوانيت ووكالة ، وغيرها وفى وسطها حوض وحوش للدواب، وحفر بها بئرا كذلك، وعمل خانا وفرنا وطاحونا ورباع، وكان يوسع الشوارع ويزيل الموانع[١٤٣].

اصلاحاته بالجامع الأزهر : جدد مطهرة الجامع الأزهر ليعم الانتفاع بها ، وأمر بهدم الخلاوى المتجددة بسطحه ، بعد ضعف عقوده وسقفه ، وجمع العلماء بمجلسه لذلك. وجدد أروقة المغاربة والأتراك والشوام. وعمل ترابزين حول صحن الجامع ما زال اسمه ورنكه منقوشا عليه للآن، كما جدد باب الأزهر والمئذنة الرشيقة المركبة فوقه[١٤٤].

أنشأ تربة بالصحراء بجوارها مدرسة تقام فيها الجمعة والجماعات ويجتمع بها الصوفية وبها خزانة كتب شريفة منيفة [١٤٥]، وعمل بجوارها ربعا للصوفية بجواره سبيل، وحوض للدواب، يعلوه كتاب للأيتام، ومدرسته التى بالكبش للجمعة، والجماعات والطاعات ، وهدم مسجد سلطان شاه ووسعه ، وجامع شاكر الذى بقنطرة قديدار، وبنى زاوية ظاهر الخانقاه بجوار زاوية النهتيتى بها فقراء مقيمون ، شيخهم «محمود العجمى» [١٤٦]، كما أكمل فى رمضان ٨٨٦هـ- ١٤٨١م، قبة الأمير يشبك بن مهدى المعروفة بالقبة الفداوية، فإنه مات قبل أن يكملها[١٤٧].

عمائره بمكة والمدينة : عمر مسجد الخيف بمنى، وحفر صهريجا بنمرة ذرعه عشرون ذراعا ، وعمر بركة خليص ، وأجرى العين الطيبة إليها ، وأصلح المسجد الذى هناك، وأجرى عين عرفة بعد انقطاعها أكثر من قرن، وعمر سقاية سيدنا العباس، وأصلح بئر زمزم والمقام، وفى سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م جهز منبرا عظيما للمسجد الحرام، وفى كل سنة يرسل للكعبة الشريفة كسوة فائقة ، وأنشأ بجانب المسجد الحرام مدرسة عظيمة وبجانبها رباطا مع إجراء الخيرات لأهلها كل يوم ، وسبيلا عظيما للعام والخاص، ومكتب للأيتام، بل بنى المسجد الحرام بعد حريقه .

وبالمدينة المنورة مدرسة بديعة، وعمر مدرسة بغزة ، ورمم الجامع الأموى بدمشق ومدرسة كبيرة ببيت المقدس [١٤٨]، وغير ذلك كثير[١٤٩] مما يطول شرحه [١٥٠].

مجالس العلم لدى السلطان قايتباى : تعددت مجالس السلطان قايتباى ، وكان أغلبها فى أول الشهور العربية للتهنئة بحلولها وكان بعضها يطلب عقده لظروف طارئة ، وكانت معظم مجالسه لأخذ رأى القضاة واستشاراتهم كلما عن له أمر من الأمور، مثل النظر فى شئون الدولة خاصة تصرفات القضاة حيال الأحكام والأوقاف ، وكذلك أخذ الفتاوى لتنفيذ أحكام الشرع، أو مناقشة مسائل بعينها، كجمع المال لمحاربة الأعداء والنفقة منها على الجنود وغير ذلك .

وغالبا ما خذل السلطان فى مجالس الشورى هذه فلم يحظ رأيه بالتأييد[١٥١] ، وكانت مجالس العلم لاتنقطع بأمر السلطان سواء حضر أو كان مسافرا ، ففى رمضان ٨٨٢هـ- ١٤٧٨م كان السلطان مسافراً ، وجرت العادة أن يختم البخارى بالقلعة ، لكن نظرا لسفر السلطان احتفل به هذا العام بالجامع الأزهر، وحضر القضاة الأربعة، ووزعت عليهم الخلع والصرر على العادة ودعا الحاضرون للسلطان بسلامة العودة[١٥٢].

ومن الذين درسوا بمجلس الأشرف قايتباى ، الشيخ «محمد بن على الحسينى القاهرى الشافعى» ويعرف بابن قمر والمولود سنة ٨٠٣هـ- ١٤٠٠م ، ت فى ١٣ جمادى الأولى ٨٧٦هـ-١٤٧١م) واشتهر بالحديث الذى أذن له ابن حجر فى تدريس فنونه، وهو أحد العشرة الذين أوصى لهم بعد موته ووصفهم بالحديث ، وقد درسه بالظاهرية القديمة وجامع الحاكم والخانقاه البيبرسية الذى كان شيخا لها وأحد صوفيتها، واستفاد منه الطلبة ، وألف كثيرا من الكتب، ورغب أخيرا عن كتبه ووظائفه[١٥٣].

إلا أن بعض الفقهاء لاقى منه العنت والإرهاق ، فقد صادر بعضهم وقطع مرتباتهم من اللحم، بل أراد أن يسترد منهم ما أخذوه فيما مضى . وذلك لوقوفهم ضده الوقفات المشرفة الجرئية ممتنعين عن الإفتاء على هواه، ومنهم شيخ الإسلام أمين الدين الاقصرائى» الذى رفض رفضا قاطعا اعتداء السلطان على الأوقاف، بحجة حرب شاه سوار أو حسن الطويل، وهذا الموقف يدل على انتصار الفقهاء على السلطان وبطشه .

وكذلك الشيخ «سراج الدين العبادى الشافعى» تحدث حديثا طويلا مع السلطان، قايتباى حثه فيه -وخَشُنَ له القول- فى عدم إهانته للفقهاء ... ولكنه ضرب بكلامهما عرض الحائط

وأهان القضاة فى أحد مجالسه [١٥٤]. كما عارضه أيضا الشيخ القاضى عبد الغنى بن تقى المالكى بأخذه أجرة الأملاك سنة كاملة وأنها ستثقل كاهل الشعب، وإن كان لابد فليكن خمسة أشهر فقط فاضطر إلى الرضوخ والموافقة.

بر السلطان قايتباى وعطفه : فى سنة ٨٧٢هـ ١٤٦٨م حج السلطان قايتباى - ولم يحج من السلاطين الجراكسة غيره- فرتب لأهل الحرمين ثمانية آلاف أردب من القمح تعم الغنى والفقير والحر والعبد والذكر والأنثى.

وفى شوال ٨٨٤هـ- ١٤٧٩م خرج السلطان للحج، ولم يشعر بخروج المحمل أحد، ثم قدم فى المحرم ٨٨٥هـ- ١٤٨٠م رسول من عند السلطان يخبر بأنه دخل المدينة الشريفة وزار القبر الشريف، وأنعم بها على الفقراء بخمسة آلاف دينار، وأنه وصل إلى الينبع قاصداً العقبة، وأنه رحل عنها وسيصل عما قريب . وكان من ثمرات هذه الرحلة أنه تبرع بستين ألف دينار ذهب من ماله الخاص دون بيت مال المسلمين، يشترى بها رباع وأماكن وغير ذلك ، ويصرف من ريعها على فقراء المدينة من الدشيشة والخبز والزيت يوميا، وشرع السلطان بنفسه فى بناء الرباع (الوكالات) التى أنشأها بباب النصر[١٥٥] وفى غيره من أنحاء القاهرة وما زال مبنى ربع باب النصر قائما للآن وعليه نقوش تؤيد وقف إيرادها على شراء قمح دشيشة لفقراء الحرمين[١٥٦].

كما كان السلطان قايتباى يعطف على ذوى الحاجات والمعوزين وأرباب الديون وصحائفه مليئة بالحسنات ، ومنها مثلا : إطلاقه لبعض المساجين بسجن المقشرة، وكان أحدهم به منذ ثلاثين سنة لعجزه عن سداد ديونه، فسددها عنه السلطان وأطلقه، كما وزع نحوا من ثمانمائة دينار على المدينية والفقراء.

وقد استن سنة جميلة من التوسعة على الفقهاء والعلماء فى شهر رمضان بتوزيع العطاء عليهم واستمر ذلك معمولا به حتى وفاته ، ولما سقط أحد النجارين ممن يعملون فى طباق المماليك بالقلعة ومات لتوه ، والتمس أهله صدقات السلطان سارع بمنحهم مائة دينار، وثيابا وثلاثة دنانير أشرفية لتجهيز الميت، كما بر رجلا فقيرا بعشرة دنانير وخمسة أرادب قمح لأنه أنجب أربعة أولاد وهو فقير[١٥٧].

رحلات السلطان : كان للسلطان قايتباى رحلات كثيرة طوال العصر، وتكرر نزوله من القلعة ليل ونهار حتى خرج عن الحد - كما يقول ابن إياس- ولما كان ركوب السلاطين فيما

مضى نادرة من النوادر ، اضطر المؤرخون المعاصرون إلى ترك ذكر ركوب السلطان ونزوله من القلعة ولم يحصوا ذلك. وعاب عليه ابن تغرى بردى ذلك بقوله : «أنه لم يَبُتَّ أمرا ولاردع مفسداً» طبعا لكثرة أسفاره وخروجه ، ولم تظهر لها نتائج طيبة على الأقاليم التى زارها، بل شملها الخراب لكثرة النفقات والنهب والهدايا للسلطان ، ولما علم المفسدون منه ذلك ازداد طمعهم وكثر شرهم على الناس ، وقطعوا الطرق، بل تعدى بعضهم على أعوان السلطان وحاشيته .

بينما يعلق «الجوهرى» المؤرخ القريب من السلطان : «أنه كان فى ضيق من فتنة شاه سوار وغيره ، وأنه أراد إظهار قوته حتى لايطمع فيه أحد ، كما كان يتفقد أحوال دولته التى ترامت أطرافها من حدود الفرات إلى بلاد النوبة ، وتفقد أحوال الرعية، وغالبا ما كان ينزل متخفيا ويسأل عنها بنفسه ، مما كان سببا فى رفع كثير من المظالم وإعادة الحق إلى نصابه» كما كان يتفقد مشروعات التعمير الكثيرة التى اقترحها ، مما كان له أكبر الأثر فى إنجازها على وجه السرعة، وغالبها أعمال عم بها الخير جل البلاد، ولم يتحرج السلطان فى رحلاته هذه من زيارة المرضى من الأمراء وهذا وفاء منه لزملائه الذين خدموا معه»[١٥٨].

حبه للصوفية : كان السلطان قايتباى يحب الصوفية ويعتقدهم ، وقد بنى للشيخ عبد القادر الدشطوطى مسجدا بباب الشعرية [١٥٩]، ما زال قائما للآن تقام به الجمع والصلوات، وكان قايتباى يعتقده غاية الاعتقاد ويمتثل لأمره ويقبل يده [١٦٠]، وقد قطع بعض المؤرخين بولاية قايتباى وصلاحه ، وبشره أيضا بالسلطنة بعض الأولياء قبل أن يليها بزمن طويل، ولكنه كان يطلب منهم إخفاء ذلك حتى لايتعرضوا وإياه لنقمة السلاطين القائمين بالأمر.

ولما ثار الخلاف والجدل فى المحرم ٨٧٥هـ- ١٤٧١م بين العلماء بسبب قصائد ابن الفارض، وكان السلطان متعصبا له، وقد صرح العلماء بفسقه وتكفيره ، ونسبوه إلى من يقول بالحلول والاتحاد، تدخل حينئذ وألقى بثقله فى المسألة وعمل على حسم الفتنة[١٦١].

وكان دائما يزور الصوفية فى أماكنهم ويزور أضرحة الأولياء ففى المحرم ٨٨٨هـ- ١٤٨٣م لما نزل السلطان لمعاينة الجسور ببلدة سنيت من الغربية عرج على طنتدا لزيارة مقام سيدى أحمد البدوى. وفى المحرم ٨٩١هـ- ١٤٧٦م توجه إلى قبة يشبك بن مهدى بالمطرية، وفى

عودته نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق ، وأمر برعاية مصالح الصوفية بها وعمل لها منبرا من الحجر ما زال موجودا للآن(١٦٢).

ولم يؤرق صفوه إلاّ حربه مع شاه سوار الذى دوخ الدولة واستنفد كثيرا من آليتها وضاع فيها أعاظم الأمراء، وكذلك حربه مع حسن الطويل ومع العثمانيين .

مرضه ووفاته : انتاب السلطان أمراض ووعكات كان آخرها مرض موته ، فقد رفسه فرس الأمير أزبك فكسر ساقه، ولما لم يتمالك نفسه من السرور بانتصاره على العثمانيين ركب فرسا يتنزه به فى القلعة، انقلب به الفرس فانكسرت رجله وأغمى عليه، وحمل إلى الدهيشة وهو فاقد الوعى. وقد حاول المماليك الجلبان اغتيال السلطان أثناء نومه على الدكة فى الخوش السلطانى زمن الصيف وفشلت هذه المحاولة ، ثم انتقل من هذا المكان، وفى الصباح وجد ثلاثة أسهم نشاب بالمخدة التى ينام عليها ، فكتم الخبر، ونزل السلطان إلى باب السلسلة وجلس بالمقعد لم يكترث بذلك وزادوا فى الطغيان ، فحزن السلطان وزاد حزنه فمرض بالحمى، ولزم الفراش وأصيب بإسهال مفرط أقعده عن الحركة فتنازل لابنه محمد عن العرش وسنه يومئذ ١٤ سنة .

وفى ٢٧ ذى القعدة ٩٠١هـ- ١٤٨٦م مات السلطان قايتباى وله من العمر نحوا من ٨٤ سنة. وكانت مدة سلطنته ٢٩ سنة ، ٤ شهور ، ٢٠ يوما ، ويكون مولده على ذلك سنة ٨١٧هـ، لأن السخاوى ذكر مولده سنة بضع وعشرين وثمانمائة ، وقال إن ترجمته تحتمل عدة مجلدات . ولم يخلف السلطان غير ابنه محمد وسيرته العطرة وأعماله المعمارية التى خلدت اسمه والخيرات الكثيرة التى ما زالت قائمة(١٦٣) ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء وقبره ظاهر يزار (١٦٤).

والثالث من أصحاب الوكالات الشهيرة بالقاهرة: السلطان «قانصوه الغورى»:

السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن عبدالله الجركسى المشهور «بالغورى»[١٦٥]، نسبة إلى طبقة الغَوْر أحد طبقات القلعة بمصر، والتى كانت معدة لتعليم المؤدبين ، وقد سماه ابن طولون «جندب» وجعل «قانصوه» لقباله.

ولد فى حدود ٨٥٠هـ- ١٤٤٦م، وترقى فى المناصب حتى أصبح نائب «طرسوس» ولما انتزعها منه جماعة ابن عثمان هرب إلى حلب، ثم عاد إليها بعد انتصار الجيش المصرى على الروم ، ولما استولوا عليها مع غيرها هرب منها إلى حلب ، ولما انتصر عسكر مصر عاد إليها ثانيا، ثم أعطى نيابة ملطية ، فلما مات السلطان «قايتباى» جاء إلى القاهرة ووقعت له عدة وقائع فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ، ثم أعطاه تقدمة ألف، وفى دولة «جانبلاط» أعطى وظيفة نوبة أبنوب، ثم تنقلت به الأحوال حتى أصبح سلطانا [١٦٦].

قد تلا وفاة السلطان «قايتباى» عهد من الاضطراب والفوضى، تداول أمر مصر وما يتبعها فيه خمسة سلاطين ، فقد خلفه ابنه محمد لمدة ستة أشهر وخلع ليعود ثانية إلى الملك بعد خمسة أشهر ، فيقتل بعد ثمانية عشر شهرا سنة ٩٠٤هـ- ١٤٩٩م، وتوالى بعده ثلاثة سلاطين فى خلال ثلاثين شهرا.

فلما اختفى ثالثهم «طومانباى» هربا من المماليك بعد أن وثبوا عليه فى سلخ شهر رمضان سنة ٩٠٦هـ- ١٥٠١م ليلة عيد الفطر وأشيع ذلك فى الصباح، اجتمع رؤساء الدولة ليختاروا سلطانا ينتهى هذا الاضطراب بولايته ، ووقع اختيار الأمراء عليه بعد أن تعصب له «قيت الرجبى» أمير سلاح ، و«مصر باى» أحد الأمراء وقالوا : ما نسلطن إلا هذا، فامتنع وبكى بكاء شديدا وهم يسحبونه من طوقه، ، حتى مزقوا ملوطته وأجلسوه بالقوة وتوسموا فيه الضعف فى المستقبل ، وظهر لهم بعد ذلك على عكس هذا التصور. وقد حضر القضاة الأربعة يتقدمهم خليفة الوقت وعقدت البيعة للغورى بعد أن كتبوا محضرا بخلع العادل وأنه سفاك للدماء .

وكانت سلطنة الغورى يوم الاثنين مستهل شوال سنة ٩٠٦هـ- ١٥٠١م، ثم ألبسوه خلعة السلطنة وهو يمتنع ويبكى، ولقبوه بالأشرف، وسما فى علوه وأشرف وكنوه بأبى النصر قنصوه الغورى ، وبه صارت مصر مشرقة بالغورى [١٦٧].

ونودى باسمه فى القاهرة، وارتفعت له الأصوات بالأدعية الفاخرة وزالت الشكوك والظنون وقرّت به العيون . وكان الناس يظنون أن هذه السلطنة على غير أساس لأنها جاءت على غير قياس فصار منه بعد ذلك الهزل جد، ومكث فى السلطنة مكثا جاوز الحد، فزال عنه الإضرار والبأس ، وامتلأت منه أعين الناس ، فتولى الملك وله من العمر نحوا من ستين سنة ، ولم يظهر برأسه الشيب حتى عد ذلك من جملة سعده(١٦٨).

وصفه : كان الغورى طويل القامة، غليظ الجسد، ذا كرش كبير، أبيض اللون مدور الوجه(١٦٩)، مشحم العينين جهورى الصوت، مستدير اللحية، لم يظهر بلحيته شيب إلا قليلا، مهيبا مبجلا فى المواكب ملء العيون فى المنظر(١٧٠).

حبه للتنزه والموسيقى والرقص والحفلات : كان السلطان الغورى يحب الموسيقى والغناء ويعرفهما جيدا ، وقد اتفق المؤرخون على ولعه بالموسيقى ، وشهدت به سيرته ، فاذا أراد الاستراحة من عناء العمل خرج إلى مقياس النيل بالروضة أو إلى قبة الأمير يشبك بن مهدى بحدائق القبة وأحضر المطربين والعازفين .

ففى يوم عاشوراء من المحرم سنة ٩١٨هـ- ١٥١٢م نزل هو وحاشيته إلى المقياس نزهة هناك، فجلس بقصره ومد سماطه الحافل بأنواع الأطعمة ، وحضر أمامه أرباب الآلات الموسيقية والمغنون ، وحضر شخص يدعى على باى من المضحكين الفكهين والذى يعمل عفريتا فى المحمل عند دورانه ، فرقص أمام السلطان ورقص كرتباى من الأمراء واقباى الطويل أمير آخور ثانى، ثم بركات المحتسب ثم عبد العظيم الصيرفى الذى كان جسيما فعندما رقص ضحك عليه السلطان(١٧١).

وكانت هذه الاحتفالات تعود على العامة بالفرج والخير، إذ كانوا يأكلون ما بقى من سماط السلطان من اللحم والحلوى وغيرها الكثير وحينما يعود من نزهته يوزع عليهم النقود.

ففى ثانى يوم عيد الأضحى ذى الحجة ٩١٥هـ- ١٥١٠م توجه السلطان فى نزهة إلى قبة يشبك بالمطرية ، وهناك مدت الأسمطة الحافلة، وأحضر جماعة من المغنيين وأصحاب الآلات الموسيقية ، وطلب إلى بعض الأسراء أن يرقصوا فرقصوا أمام السلطان. وبعد صلاة العصر - وفى طريق عودته إلى القلعة- صار يوزع على الفقراء ومن يقف له من الناس من كيس ذهب كان فى جيبه «يعطيهم من يده بغير واسطة بحسب ما يقسم لهم»(١٧٢).

صدقاته على الفقراء : كان يتصدق بيده كثيرا على الفقراء والمساكين والمعوزين ، فكان دائما يطلب الفقراء ويجمع معهم الحرافيش عند سلم المدرج، وعندما اجتمع منهم الجم الغفير «صار يوزع عليهم الصدقات، وهو راكب فرسه لكل صغير وكبير» من رجل وامرأة يعطى كلا منهم أشرفيا ذهبا » وقد مات من شدة الزحام فى هذا اليوم ثلاثة من الفقراء ، وقد بلغ ما فرقه نحو ثلاثة آلاف دينار وارتفعت له الأصوات بالدعاء [١٧٣].

كما كان يدفع ديون المساجين تخفيفا عنهم قربة لله تعالى، ففى شهر شعبان سنة ٩١٢هـ - ١٥٠٧م عرض السلطان المحابيس والنساء المسجونين بالحجرة ، فأطلق جماعة منهم بعد أن صالح عنهم أرباب الديون من ماله الخاص [١٧٤].

وفى رمضان ٩١٥هـ تصدق على نحو سبعين إنسانا ما بين رجال ونساء من المغاربة ، الذين قصدوا الحج فى هذه السنة ، ورسم لهم لكل واحد منهم أشرفيا ثمن بسقماط[١٧٥].

ولما كان النيل بمصر فى العصر المملوكى سيفا ذو حدين ، إذ نقص ماؤه هلك الزرع والضرع، وإذا زاد ماؤه حدثت الخسائر أيضا ، من أجل هذا كان السلطان الغورى يتصدق على الفقراء بعد قراءة القرآن والدعاء بزيادة النيل أو هبوطه .

ففى نهاية سنة ٩١٥هـ- ١٥١٠م زاد النيل زيادة يخشى منها الغرق والتلف، فطلب الغورى من القضاة الأربعة والعلماء أن يتوجهوا إلى المقياس ليدعوا الله تعالى بهبوط النيل فذهبوا إلى هناك وباتوا بالمقياس يدعون ويبتهلون . وقرأ السلطان فى هذه الليلة ختمة شريفة، بعد أن مد وساطا فاخرا «فانهبط النيل إلى ما يقرب من نصف ذراع فكان من العجائب»[١٧٦].

وفى جمادى الآخرة ٩١٩هـ - ١٥١٤م عاد أحد الأمراء من الصعيد ومعه عدد من مشايخ العربان بسبب ٧٠ ألف أردب من القمح قد تأخرت عليهم، ولما عرضوا على السلطان مقيدين قال : «أطلقوهم جميعا فقد تركت ما عليهم لوجه الله تعالى»[١٧٧].

هوايات الغورى : كانت هواياته كثيرة منها : حبه لسماع الطيور المغردة ذات الألوان البديعة ، ونشق الأزاهير العطرة والبخور والمسك والعود، يحب رؤية الأزهار والفواكه ، يلبس فى أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والماس وعين الهر . ويستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء ، ويستعمل الأشياء المفرحة[١٧٨].

أما ولعه وهوايته لغرس الأشجار والأزهار واقتناء الطيور فكان غاية فى ذلك، وهذا المؤرخ المعاصر ابن إياس يحدثنا عن ذلك فى حوادث سنة ٩١٢هـ- ٩١٥م فيقول : «فى شعبان سنة ٩١٢هـ وصل إلى الغورى من بلاد الشام صناديق خشب فيها أشجار بطينها ما بين فراصية وتفاح شامى وكمثرى وأشجار مزهرة ما بين ورد أبيض وسوسان وزنيق وسفرجل وكروم وعنب وغير ذلك من أشجار جوز الهند بطينها، فزرع ذلك جميعه بالميدان ، وكانت نحوا من مائة وخمسين حملا ، حتى صار هذا الميدان من جملة متنزهات القاهرة التى تشبه غوطة دمشق ما بين أشجار ومياه جارية[١٧٩]. وفى سنة ٩١٥هـ أينعت هذه الأشجار وأخرجت الشتلات أنواع الأزهار ما بين فل وورد وزنبق وياسمين وبان وسوسان وورد أبيض لم يجد بمصر مثله «فكان السلطان يضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس وسيفرش فوقها مقعدا مخمل بنطع ويجلس عليه تظله فروع الياسمين وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المنشات ينشون عليه وحوله أقفاص بها طيور المسموع ما بين هزازات وشحارير وفواخت وقمارى وغيرها ، كذلك حوله بين الأشجار أنواع من الدجاج الحبشى والبط الصينى. وقد صار هذا الميدان جنة الله على وجه الأرض[١٨٠].

أبناء الغورى : لم نعثر فى بدائع الزهور أو مجالس السلطان الغورى على أبناء له إلا بنت ذكرها ابن إياس فقال : «فى يوم ٢٨ شوال ٩١٠ هـ توفيت للسلطان ابنة كانت مستحقة للزواج فأخرجت فى بشخانة زركش ، وقداسها كفارة، وصلى عليها فى الجامع الأزهر ، ودفنت داخل القبة بمدرسة أبيها ، وكانت جنازتها مشهودة[١٨١].

اهتمامه بالنواحى الاقتصادية : كان السلطان الغورى مهتما بالنواحى الاقتصادية لدولته من كل ما يدر له دخلا يتقوى به على الأخطار المحيطة بدولته من الحرب البحرية مع البرتغاليين بالإضافة إلى تحرش العثمانيين بالثغور والمنافذ الشمالية للدولة المملوكية.

ومن هذه الاصلاحات : ترميم وتجديد وإصلاح قنطرة اللاهون بالفيوم التى أنشأها السلطان بيبرس البندقدارى ، ونظرا لأهميتها البالغة لإقليم الفيوم توالت عليها الإصلاحات إبان العصر المملوكى. ولما زار الغورى إقليم الفيوم سنة ٩١٨هـ- ١٥١٢م وجد هذه القنطرة فى حالة تصدع شديد نتيجة لقطع جسر اللاهون وجسر بحر يوسف ، فأمر أحد المقدمين الأمير «أرزمك» الناشف بإصلاحها فأصلحت.

ولكن هذه القنطرة دب فيها الخراب والتلف فى العصر العثمانى نتيجة لتدهور الحالة الاقتصادية والسياسية وإهمال شأن الترع والجسور والقناطر والعيون فى هذا العصر.

وكان الغورى كثيرا ما يفرض على الزراع الغرامات الفادحة ليستعين بها على الإصلاحات الطارئة، وربما سخر جمالهم وبغالهم وغيرها للعمل فى هذه المنشآت، أو يطلب إليهم كميات من التبن أو الغلال أو الفاكهة ، أو يفرض ضريبة على أرض الإقطاع معجلة قبل حلول موعد استحقاقها ، فيصيبهم الضرر البالغ ، وقد يفضل بعضهم الهرب والفرار أو الهجرة إلى ناحية أخرى لعدم استطاعته الوفاء بالدين(١٨٢).

أما عن منشآته فهى كثيرة جداً(١٨٣) منها: مسجد بحى «الشرابشيين»* (الغورية الآن) والقبة والكتاب والسبيل ومدرسته المواجهة للمسجد، وجامعا عند القلعة، وبنى خان الخليلى من جديد، بعد أن آل للسقوط ، وخانا ، وأحواضا فى طريق الحج عند العقبة ، ورباطا وممارستانا فى مكة، وأنشأ الميدان عند القلعة ، وقصرا عند المقياس بالروضة ووكالة (١٨٤)، بحى الغورية(١٨٥)، وأخرى بالمحلة الكبرى، كما عمر قاعة البيسرية ، وقاعة العواميد والدهيشة فى القلعة، كما أنشأ عدة قناطر وأبنية أخرى، وبنى دائرة الحجر الشريف ، وباب إبراهيم ، وجعل علوه قصرا شاهقا وتحته ميضأة ، وجدد بعض أروقة المسجد الحرام، وأنشأ مجرى الماء من مصر إلى القلعة ، وعمر بعض أبراج الاسكندرية، والمئذنة المعتبرة ذات الرأسين بالجامع الأزهر (١٨٦)، كما بنى مصطبته السلطانية بدلا من الدكة، كما أقام عدداً من المنشآت الحربية كالأبراج والمكاحل والأسطول (١٨٧).

أما مدرسته (١٨٨): فقد انتهى العمل من بنائها وزخرفتها فى ليلة عيد الأضحى سنة ٩٠٨هـ- ١٥٠٢م، وعمل السلطان احتفالا وعمل وليمة حافلة حضرها الخليفة «المستمسك بالله يعقوب» والقضاة الأربعة وأعيان مصر من المشايخ والأمراء والقراء والمباشرين والوعاظ، وزينت الدكاكين من باب زويلة إلى الشرابشيين* وعلقت القناديل المضاءة.

وكان صاحب هذه المدرسة هو الطواشى «مختص» (١٨٩)، الذى كان رأس نوبة السقاة، وكان قد وضع أساسها تمهيدا لإتمامها، لكن الغورى تغير خاطره عليه، ولما قبض عليه وصادره قرر عليه مالا، فأعطاه هذه المدرسة من جملة المال، وكان قد بنى منها شيئا فهدمه الغورى

---

* الشرابشيين : هو حى الغورية وهو شهير (بالطرابيش) .

وأضاف إليها سوق الجملون وما حوله ، فاتسعت ، وتناهى فى بنائها وزخرفتها فجاءت فى غاية الحسن والرونق والظرف.

وقد شنع بعض الناس على الغورى فى بنائه هذه المدرسة من مصاريف جاءت من المصادرات ومن وجوه المظالم ، فقد أخذ رخامها من أماكن متعددة بأبخس الأثمان ، وقد خرب قاعة «شموال» اليهودى الصيرفى وأخذ رخامها وأبوابها ، بل خرب عدة قاعات أخرى وقد سمى بعض الظرفاء هذه المدرسة «بالمسجد الحرام» لما وقع فيها من اغتصاب الأرض ومصروفها من مال فيه شبهات ، ويعلق ابن إياس على ذلك بقوله : «وأهل مصر ما يطاقون من ألسنتهم إذا أطلقوها فى حق الناس.. »(١٩٠).

ولما كملت عمارة هذه المدرسة ببناء مدفن له- لم يدفن فيه- وعقد فوقه قبة وأنشأ بها صهريجا ومكتبا ، وقرر بهذه المدرسة حضورين وصوفية يحضروا بكرة والعصر» ، أى يحضرون فى الصباح الباكر دروسا معينة، ويبتدى بعد العصر- تشبه الفترة المسائية فى بعض مدارسنا حاليا- دروسا أخرى. وجعل «قاضى القضاة برهان الدين بن أبى شريف» شيخ الحضور بالنهار، ومحب الدين الحلبى الإمام شيخ الحضور فى العصر ، ثم نقل إليها الآثار الشريفة التى كانت برباط الآثار بعد أن استفتى العلماء مخالفا بذلك شروط الواقف ، كما نقل إليها المصحف العثمانى وربعة شريفة كتبت بماء الذهب ، كانت موجودة بالخانقاه البكتمرية بالقرافة كان الواقف قد اشتراها بألف دينار ، وبعد نقل هذه الأشياء أصبحت هذه المدرسة من محاسن الزمان، خاصة أن هذا الخط من هذه الناحية محتاجا إليها لعدم وجود مدارس أخرى سابقة فيها ، وعد ذلك من جملة سعد الغورى.

وكان أصل هذا المكان قيسارية للأمير على، فاستبدلت من وقف «الناصر محمد بن قلاوون». أما القاضى «البرهان بن أبى شريف» فقد ترك منصب قاضى القضاة ليتفرغ لمشيخة هذه المدرسة.

وكانت زيارات السلطان الغورى لمدرسته لاتنقطع ويعطى فيها لأيتام المدرسة وصوفيتها الكسوة وغيرها. كما أعطى لمطبخ الأزهر فى رمضان ستمائة أردب قمح ومائة قنطار عسل وستمائة وسبعين دينارا على أن يصنع من القمح خبزا يفرق على من به (١٩١).

وقد ارتفعت الأصوات له بالدعاء والزغاريد من الطيقان فى يوم ٣ جمادى الآخرة ٩١٧هـ/ ١٥١٢م حيث زار المدرسة وأنعم على صوفيتها وعلى مشايخ الدرس لكل واحد منهم عشرة

دراهم كما أنعم على أيتام المكتب والقراء والوعاظ والبوابين والفراشين، فكان جملة ما فرقه فى هذا اليوم نحوا من خمسمائة دينار(١٩٢).

وفى ١٩ رمضان ٩١٩هـ- ١٥١٤م زار الغورى مدرسته ، وعرض عليه أطفال المكتب: فرسم لهم بكسوة العيد (١٩٣)، وقد أوقف على مدرسته ومسجده وكتابة الأوقاف الكثيرة.

ومن منشآته : المصطبة بدلا من الدكة السلطانية التى يجلس عليها الغورى للحكم بين الناس، فقد بناها بالحجر الفص النحيت، وزخرفها بالرخام السماقى والزرزورى والمرسينى وغيره، وتقش بروازها بالذهب، وجعل لها أفريزا وكساه بالذهب ونقش عليه اسمه فجاءت فى غاية الحسن لم يعمل مثلها قط ، ولاسبق إليها(١٩٤).

أما جامع الغورى المشهور الآن بحى الغورية على مدخلها من شارع الأزهر على يمين المتجه إلى باب زويلة، فقد جاء فى غاية الأبهة والعظمة والحسن والبهاء والزخرفة، وقد صنع له مئذنة لها أربعة رؤوس وهو أول من اتخذ ذلك(١٩٥).

وأول من خطب بهذا الجامع هو العلامة «الشهاب أحمد بن الفرفور الدمشقى الشافعى» فى جمعة مستهل ربيع الآخر سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م، وحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة، برهان بن أبى شريف الشافعى وعبد البر بن الشحنة الحنفى، وبرهان الدين الدميرى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى، وحضر غالب الأمراء والشيوخ والجم الغفير من أعيان الناس، وزينت منطقة الغورية كالمعهود ، وخلع السلطان على جملة من الأعيان منهم ابن الشحنة الحنفى لكونه أفتى بصحة الجمعة فى هذا الجامع ، وعلى اينال شاد العمارة بامرة عشرة، وجملة من النجارين والبنائين والمرخمين والمهندسين من أرباب الصنائع الذين عملوا الجامع، وأنعم على جملة الفعلة لكل واحد منهم ألف درهم(١٩٦).

وفى شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ- ١٥٠٦م مالت مئذنة هذا الجامع وتشققت وآلت للسقوط ، فرسم السلطان بهدمها بعد أن ثقلت من علوها لكونها ذات أربع رؤوس فلما هدمت أعيدت على الصحة، وقد بنى علوها بالطوب الملبس بالقيشانى الأزرق . وقد نظم للشيخ بدر الزيتونى الأديب قصيدة مطولة فى هذا الجامع منها:

وأنشأ بمصر جامعا لم يزل ... بيتا يذكر الله معمور

والقبة الزرقاء وصهريجها ... والماء والكيزان والزير

كأن برد الثلج فى مائه ... لكل عطشان ومحرر. الخ القصيدة(١٩٧)

وفى شهر شوال سنة ٩١٧هـ- ١٥١٢م ظهر فى بقية هذه المدرسة- التى انشأها السلطان - تشقق فاحش حتى آلت للسقوط، فأمر السلطان بهدمها فهدمت من سفلها، ثم علقت ورمت ترميما حافلا(١٩٨).

ويفصل المسجد عن المدرسة شارع الغورية، حيث تتقابل هاتان المنشأتان العظيمتان شامختان إلى اليوم، والآن يتم تبييض الجدران وترميم المتهدم منها، ويوجد تحت الجامع طابق ينزل إليه بسلم، قال بعض العاملين بالمسجد أنه سجن كان الغورى يسجن به المتمردين وأرباب الجرائم.

تدين الغورى وحبه للعلماء وبره بهم: كان السلطان قانصوه الغورى ديِّنا محافظا على فروض الدين، شديدا على من يفرط فيه، وكان يعتبر من علماء الدين بمصر ، ذلك لأنه كلما نزلت بالبلاد نازلة أو قرعتها قارعة، وكلما حزبه أمر فزع إلى قراءة القرآن والحديث ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما سار الغورى على العادة القديمة بقراءة البخارى فى القلعة وختمه باحتفال مهيب فى نهاية رمضان.

ففى حوادث رجب ٩١٥هـ- ١٥١٠م نجده يأمر الناس بألا يتجاهروا بالمعاصى. ولايمشى أحد بسلاح بعد المغرب وأن الناس يواظبوا على الصلوات الخمس فى الجوامع (١٩٩). وقد وصف العلامة «الشوبفى» مترجم الشاهنامة الفارسية إلى اللغة التركية بأمر الغورى- صلاة السلطان ودعائه وتهجده بالليل فى خاتمة الشاهنامة(٢٠٠).

وكان الغورى يبر العلماء حينما تضيق بهم الحال ، فالقاضى فخر الدين بن العفيف ، الذى كان يشغل منصب كاتب المماليك، وقف للغورى لما ضاقت الدنيا فى وجهه وأظلمت وشكا ، ضيق ذات يده وفقره ، رسم له بجامكية «ألفى دينار فى كل شهر وزيديتين لحم فى كل يوم»(٢٠١).

كما تحمل الضرائب المتأخرة عن الفلاحين المقيدين بالسلال قائلا: «أطلقوهم أجمعين فقد تركت ما عليهم لوجه الله تعالى»(٢٠٢).

وكان يحب الصوفية ويجلهم ويحسن إليهم فعند مروره إلى قناطر السباع وقف وبصحبته الأمراء عند مدرسة ابن الزمن ليزور الشيخ «سويدان» الذى يقيم بهذه المدرسة(٢٠٣)، إلا أنه -لدواعى الأمن- ألغى مولد سيدى أحمد البدوى ، حيث كانت العربان ثائرة فى البلاد والطاعون يعمل عمله بالقاهرة(٢٠٤).

مناظرات العلماء فى مجلس السلطان الذى تعصب لضرب عنق أحد العلماء شتم سيدنا ابراهيم الخليل : فى شهر جمادى الأولى ٩١٣هـ- ١٥٠٨م أشيع أن خطيبًا بأحد الجوامع يسمى «علاء الدين النقيب الحنفى المحلى» أطال لسانه ووقع بكلام فاحش فى حق سيدنا ابراهيم الخليل ، فضبط عليه ذلك، فاستتابه بعض القضاة، وحكم القاضى ، «شمس الدين الحليبى» بحقن دمه، لكن السلطان الغورى لما علم بهذه الواقعة استشاط غضبا فتعصب للخليل، وأراد ضرب عنق هذا الرجل ، وجمع لذلك مجلسا من القضاة الأربعة فى الدهيشة بحضرته ، وحضر العلماء والقضاة المفصولون وغيرهم، وتباحث العلماء فى هذه المسألة، وتمخض المجلس عن نشوب الخلاف والمشاجرة بين القضاة ، فالشيخ «زكريا الأنصارى» قال : مذهبنا أن هذا القائل إذا تاب إلى الله واستغفر تقبل توبته ووافقه على هذا الرأى بعض العلماء، وخالف بعضهم الآخر ومنهم «عبد البر بن الشحنة» الذى وقع التشاجر بينه وبين الشيخ «نور الدين المحلى» وأحظر كل من العلماء بقوله فى هذه المسألة، وينفض هذا المجلس عن أن هذا القائل يسجن مدة طويلة حتى يتوب ، والسلطان مصمم على ضرب عنقه ، لكنهم أخذوا هذا القائل إلى السجن(٢٠٥).

مجالس العلم لدى الغورى : للسلطان الغورى مجالس كثيرة كان يجتمع معه فيها نخبة كبيرة من علماء عصره ، ويكثر فيها المناقشات والمجادلات للبحث فى مسائل شتى. ومن العلماء الذين اشتركوا فى هذه المجالس «عبد البر بن الشحنة» قاضى قضاة الحنفية، والشيخ «حسين چلبى» و«شمس الدين السمديسى» و«البرهان بن أبى شريف» و«جلال الدين السيوطى» (٢٠٦)، والشيخ «محب الدين المكى» والشيخ «ابن أبى الحسن»، والشيخ «عبد الرازق» والشيخ «على الأخميمى الحنفى» والشيخ «كمال الدين البرقوقى»(٢٠٧) والشيخ «كورانى» والشيخ «كمال الدين الطويل» وغيرهم . وكان هؤلاء العلماء المذكورين هم رؤساء الجلسة الذين يديرون الحوار.

أما المسائل التى نوقشت مع السلطان فكثيرة ، منها فتاوى وقصص ونواد وحكايات وتفسير وحديث، وتاريخ وسيرة يتخللها نكات وألغاز وغير ذلك. ومن الألغاز التى قيلت فى أحد المجالس:

١- ما اسم شىء قد غدا نزهة للنفس محبوب لدى الأزمنة

وإن ترد تصحيف مقلوبه تجده شهرا من شهور السنة

فقيل هو البحر (٢٠٨).

٢- مـــا اسم شيء أكـــلا ناعـــم فـــى الحلـــق لين

كيف يخفى عنك هـــــذا وهو فى التصحيف «بين»(٢٠٩)

وهناك كتابان سجل فيهما كثير من مسائل هذه المجالس، ويصوران تصويرا حسنا بعض أحوال مصر السائدة فى عصر الغورى وهما:

١- كتاب «نفائس المجالس السلطانية فى الأسرار القرآنية» ويتضمن هذا الكتاب مقدمة وعشر روضات . وكانت المجالس تنعقد فى كل أسبوع مرة أو اثنين أو ثلاثة... ألف هذا الكتاب العلامة حسين بن محمد الحسينى(٢١٠).

٢- «الكوكب الدرى فى مسائل الغورى» ويحتوى هذا الكتاب على ألفى مسألة وأجوبتها(٢١١).

اهتمام السلطان قنصوه الغورى بالعلماء : عاش زمن الغورى عدد كبير من العلماء والأئمة الفضلاء الذين زاولوا القضاء والفتوى والتدريس ونذكر منهم على سبيل المثال المشهورين : جلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ- ١٥٠٦م) المؤرخ المحدث المفسر الموسوعى، زين الدين زكريا الأنصارى الصوفى (ت٩٢٦هـ / ١٥١٩م) وقاضى قضاة الشافعية والفقيه البليغ شهاب الدين القسطلانى المحدث صاحب «ارشاد السارى» فى صحيح البخارى (ت٩٢٣هـ- ١٥١٧م، فخر الدين عثمان الديمى ، شيخ الحديث فى زمانه (ت٩٠٩هـ- ١٥٠٤م) ، وقد تتلمذ له فيه طبقات من الرجال ، نور الدين الأشمونى(٢١٢) العلامة فى النحو والقراءات والأصول وفقه الشافعية (ت٩٢٠هـ- ١٥١٤م) ، أما ابن اياس الحنفى المؤرخ (ت٩٣٠هـ- ١٥٢٤م) فقد شاهد عصر الغورى بعينيه ولمسه بيديه وكتب كتابه المستفيض «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» فى عصر الغورى ومن سبقوه ونهاية دولة وبداية دولة جديدة(٢١٣).

أما عن المعلمين (المهندسين) والرؤساء (الأطباء) فكثيرون جدا منهم: المعلم حسن بن الصياد (المهندس البارع) والذى صنع (ماكيتا) نموذجا مجسما من الجبس لمدينة الاسكندرية يتضمن كل ما بالمدينة من الأبراج والأبواب والمنارة وغير ذلك، وقد أقام هذا النموذج فى المطرية وزاره الغورى فى شعبان ٩١٦هـ- ١٤١١م وأعجب بدقة فنه وصناعته.

أما المعلم عبد القادر الشماع فقد كان خبيرا ونابغة فى التقويم والفلك (ت٩١٨هـ - ١٥١٢م) والأمير إينال شاد العمائر السلطانية وكان عليما بالهندسة خبيرا بفن البناء.

أما الأطباء فمنهم : (١) الرئيس بركات السكندرى (ت٩١٥هـ- ١٥١٠م) ، (٢) شمس الدين القوصونى (ت٩١٧هـ- ١٥١٢م) ، (٣) عبد القادر القطبى (ت٩١٩هـ- ١٥١٤م) .

وممن عالج الغورى من الكحالين (أطباء العيون) حين ارتخاء جفونه ، القوصونى المذكور وصلاح الدين الشامى، وعبد الرحمن الشريف ، وتقى الدين المنوفى[٢١٤].

شعراء عصر الغورى وأدبائه : كان من هؤلاء الحافظ الراوية ، والزاهد المتصوف والمؤلف البارع والأديب المفنن والشاعر الباريعى. ومن هؤلاء من قصد القصائد الطويلة أو نظم المقطوعات، ومنهم من شطر البردة النبوية ومنهم من خمسها وغير ذلك ، ومنهم من أولع بالتورية والفكاهة والتضمين وما إلى ذلك، ونذكر منهم على سبيل المثال:

عبد القادر الدماصى (ت٩١٥هـ- ١٥١٠م) كان شاعرا ناثرا ومحاضرا فكها، نظم فى الألغاز والخوانيات. جلال الدين النصيبى (ت٩١٦هـ- ١٥١١م) برع فى العلوم الدينية والعربية ، زاول التأليف ونظم فى الغزل وغيره ، وخمس إحدى قصائد ألشاب الظريف. علاء الدين بن مليك الحموى (ت٩١٧هـ- ١٥١٢م) كان فقيها حنفيا خبيرا بالنحو والأدب والعروض ، له عدة قصائد فى مدح الرسول ﷺ وديوان شعر كبير . عائشة الباعونية الشيخة العالمة المتصوفة المتوفاة (٩٢٢هـ- ١٥١٦م) نظمت شعرها فى التصوف والزهد والمدح، أجادت المديح النبوى ولها فيه بديعيتان ، ولها أيضا شعر فى الرصف والألغاز . الناصرى محمد بن قنصوه بن صادق (ت ٩٢٨هـ- ١٥٢٢م) قال الشعر فى النقد الاجتماعى، والوصف والمدح، شارك بشعره فى أحداث بلاده فى هذا العصر ، بكى مصرع السلطان الغورى بكاء مرا، ونكبة البلاد من بعده . جمال الدين السلمونى (ت ٩٣٠هـ- ١٥٢٤م) وكان من أبرز شعراء عصر الغورى ، هجاء نقادا لاذع النقد والهجاء وفد مرة على بيت قاضى القضاة شهاب الدين ابن الفرفور فمنعه حاجبه من الدخول فكتب أبياتا قال فيها:

ببابكم كلب عقور مسلط ... عديم الحيا والعقل فى البعد والقرب

ومن يربط الكلب العقور ببابه ... فإن بلاء الناس من رابط الكلب

فترضاه القاضى وصالحه [٢١٥].

مكانة الغورى العلمية : يظهر لنا من تاريخ الغورى، ومن أقواله التى تضمنها الكتابان نفائس المجالس والكوكب الدرى ، ومما كتبه الشريفى مترجم الشهنامة ، أن السلطان الغورى كان ذا حظ من علوم التوحيد والفقه والتفسير مشاركا فى علوم العربية[٢١٦] من نحو وبلاغة وغيرها، إلا أنه كان مولعا وشغوفا بقراءة كتب التاريخ والسيرة[٢١٧] وكان يعرف عدة لغات أجنبية [٢١٨]، وله ملكة أدبية زينت له المشاركة فى النظم أحيانا، كما كان يحب الموسيقى وله ألحان يتغنى بها[٢١٩].

وكان القضاة الأربعة وغيرهم لايتخلفون عن حضور مجالس الغورى ، إلا أن هناك نخبة ممتازة من العلماء أمثال السخاوى والسيوطى والقسطلانى وزكريا الأنصارى تورعوا عن حضورها ولم تذكر أسماءهم إلا نادرا[٢٢٠].

ترجمته للشهنامة للفروسى: كان سبب ترجمته لها من اللغة الفارسية إلى اللغة التركية أن الغورى كان يقرأ كثيرا، ولديه خزانة فيها ضروب الكتب[٢٢١] وكان بها نسخة من الشهنامة ، فأمر الشريفى بترجمتها إلى اللغة التركية ، وتعتبر ترجمتها التى استغرقت نحو عشر سنين عملا أدبيا ممتازا ، حبذا لو كان ذلك إلى اللغة العربية إذن لأضفى ذلك على الحركة الأدبية فى عصره رونقا وبهاء[٢٢٢].

شعره وموشحاته : للغورى عدة قصائد وموشحات ، القصيدة الأولى اثنان وعشرون بيتا أولها :

يا ملك أنعم ربنا الرحـــمن وهو الكريم المنعم الرحـــمن[٢٢٣]

يدعو الله فيها أن يؤلف بين قلوب جنده ويجمعهم حوله . والقصيدة الثانية ثلاثة وعشرون بيتا حث فيها على إحياء ليلة النصف من شعبان ودعاء له ولجنده ورعيته أولها:

لله فى أيامنـا نفـحـات من دكـرنا تزكـو بهـا الأوقـات

وله عدة موشحات بالعربية، منها واحد مكون من عشرة أبيات من نغم الحسينى: أوله

ربنا أدم لنا نعـمـا جـدت لى بهـا كـرمـا

اثنا عشر بيتا من نغمة عشاق العجم: أوله :

جـل من وهبـا ملك مـصـر واكـتـسـبـا

اهتمامه بتعليم المماليك : يرى السلطان أن تعليم المماليك وتربيتهم تربية دينية سليمة يخلق فيهم حب الوطن والولاء له ولذلك اهتم بتعليمهم عند الفقهاء وإحضارهم من حين لآخر إلى مجلسه ليقرؤا أمامه ويمتحنهم[٢٢٤].

ففى المجلس العاشر وكان إمام المجلس سيدى على الأخميمى، وطلع الشيخ عباس مع مملوكين ، واحد منهما حفظ عبادات مذهب أبى حنيفة والآخر حفظ القرآن الكريم. ووجود المماليك فى مجلس السلطان يدل دلالة قاطعة على اهتمامه بتعليمهم وتربيتهم[٢٢٥].

محاسن الغورى ومساوئه : أشرنا فيما سبق إلى أن للغورى صفات تدل على رقة طبعه ورقة إحساسه وولوعه بالجمال والاستمتاع بزينة الحياة الدنيا. ومن كانت هذه صفاته يبعد أن يكون ظالما جبارا سفاكا للدماء قاسيا على الضعفاء . وبالإضافة إلى أنه كان رضى الخلق يملك نفسه عند الغضب ، كان له اعتقاد فى الصالحين ، يعرف مقادير الناس على قد طبقاتهم يمسك لسانه عن سب الناس فى شدة غضبه ، قريبا من الناس يحب المزاح والمجون فى مجلسه(٢٢٦)، غير كثيف فى الطبع فى ذاته ، ولديه لين جانب ورياضة ، ولم يكن عنده شمم ولاتكبر نفس عكس طبع الأتراك(٢٢٧).

وكان وفيا لإخوانه ورجاله الذين أخلصوا له ولم يغدر بهم ولانوى ذلك لهم ولا أضمر لهم حقداً ، أو دبر ضدهم مؤامرة كأسلافه ، بل كان مأمون الجانب فيما يتصل بهم عطوفا عليهم(٢٢٨).

غير أنه بجوار هذه المحاسن كانت له مساوىء كثيرة تغطى على محاسنه.. ومن المساوىء جنوحه إلى حياة عابثة لاهية، وسخائه على حفلاته وخاصته وعماراته(٢٢٩)، وشحه وبخله على جنده وعسكره الذين لم يكفوا عن الثورة مطالبين بالنفقة حتى اجترأوا عليه واستهانوا بواجبهم، كذلك الضرائب الظالمة والمصادرات الجائرة وسوء ظنه ومبادرته إلى العقوبة ، كما أباح لنفسه جمع المال بأى طريق، لذلك سمح بغش وتزييف العملة والرشوة التى استشرت فى كل شىء، حتى القضاة الذين سعوا إلى وظائفهم لدى السلطان بالرشوة ، وترك لأمراء دولته الحبل على الغارب، ليتدخلوا فى القضاء، فتصدوا للفصل فى القضايا لقاء الأجور الباهظة والرشوة(٢٣٠).

لكننا أمام هذه المساوىء لانستطيع ولاينبغى أن ننسى- فى مقام التاريخ محاسن وعظمة هذا السلطان خاصة إذا أدركنا الظروف والملابسات التى صاحبت سلطنته من أول سلطنته، عاش بقية حياته مدافعا عن بلاده ما دامت مفاجآت الحوادث تدعوه إلى الدفاع الشديد الغيرة عليها، سريع الغضب إذا اعتدى على أطرافها معتد أثيم. ولوصفا له الدهر ونفوس من حوله لغير بهم وجه التاريخ.

لقد سار بنفسه إلى حلب- وهو طاعن فى السن- على رأس حملة كبرى، فشهد معركة مرج دابق وعاين النصر، لكن الخيانة والغدر لاحقته، وفرقت الدسائس بين صفوفه ، ففر جنوده لايلوون على شىء ، أما هو فقد لقى حتفه وهو يشهد خاتمته بعد أن ثبت وسط المعركة واقفا كعلمه، وبقيت سيرته عظة وعبرة لمن يعتبر .

الأعمال الخيرية للتجار الكارمية[٢٣١] وغيرهم من كبار التجار:

تمهيـــد:

فى العصر المملوكى عامة والجركسى خاصة أصبح تاجر الكارم هو صاحب القوافل الهائلة التى كان يحميها بخيّالة وجند يعملون لحسابه الخاص، ولهم وكالات ضخمة فى مدينة القاهرة وغيرها .

وقد حقق هؤلاء التجار من وراء عملهم هذا فى تجارة الشرق أرباحا هائلة وثروات طائلة ، فقد بلغت ثروات بعضهم مليون دينار، وبلغت ثروات البعض الآخر أضعاف ذلك بكثير وقد تعذر إحصاء ثروات بعضهم[٢٣٢].

أما عن اهتمام سلاطين المماليك بهذه الطائفة، فقد قدموا لهم التسهيلات اللازمة حيث خصصوا لهم موظفا حكوميًا كبيرا هو «مستوفى البهار والكارم» يهتم بهم ويسهل لهم أمورهم، وقد حدثنا القلقشندى عن وظيفة هذا الرجل فقال: «إن موضوعها: التحدث عن أصل التجارة الكارمية من أصناف البهار وأنواع المتجر، وهى وظيفة جليلة تارة تضاف إلى الوزارة، وتجعل تبعا لها ، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعا لها ، وتارة تنفرد عنها حسبما يراه السلطان»[٢٣٣].

ومن الاهتمام بهذه الطائفة أقام المماليك لهم الفنادق والوكالات داخل البلاد ، يمارسون فيها نشاطهم التجارى بمختلف أنواعه، كما بنى الكارمية أنفسهم بعضا من هذه الفنادق على نفقتهم الخاصة، كانت تتم فيها صفقات بيع التوابل وسلع الشرق الأخرى لتجار أوربا، ولم تكن هذه الفنادق فى القاهرة وحدها ، بل كانت لهم فنادق داخل الاسكندرية وطنطا والمحلة الكبرى ودمياط وقوص وعيذاب ومكة وعدن والهند[٢٣٤].

كيان الكارمية التجارى:

ولما كانت المراكز التجارية الكارمية هى: عدن ، وجدة ، وعيذاب ، والسواحل العربية للمحيط الهندى ، فقد ظل النشاط قائما فى تلك المراكز حتى انتقل مركز تجارة العالم من المحيط الهندى إلى البحر المتوسط، مع قيام دولة المماليك فى مصر ، وكان طبيعيا أن يتخذ العاملون فى هذه التجارة مراكز لهم على مقربة من البحر المتوسط، ولهذا جاء هؤلاء التجار إلى مصر ليتخذوها موطنا وسكنا لهم ، وأصبح بعضهم يسمى بحسن كارم ومحمد حسن كارم.

واستجابوا بذلك النشاط للاتصال العالمى بين الشرق والغرب ، فأصبحوا كبار التجار المشتغلين بتجارة الشرق العالمية، وأصبح التاجر الكارمى فى العصر المملوكى الجركسى خاصة هو تاجر التوابل وسلع الشرق الغالية الثمن.

ويرجع تمتع هؤلاء التجار بالأمان على أنفسهم وعلى أحوالهم فى تلك المناطق الإسلامية وإتاحة فرص الكسب الواسع لهم إلى إقرار النفوذ المصرى لهم فى العصر المملوكى الجركسى قبل نهايته فى البحر الأحمر، وفى تنظيم شئون التجارة فى اليمن وغيرها من بلدان ذلك البحر وموانيه(٢٣٥).

أهم مميزات الكارمية :

كان يجمع الكارمية جلهم طائفة واحدة قوية تشبه الآن إلى حد كبير نقابة التجاريين، أو الغرفة التجارية ، وكان لهذه الطائفة رئيس يقوم بالإشراف عليها ويحل مشاكلها ويسمى بعدة أسماء منها «رئيس التجار» ، و«وكيل التجار » أو «شهبندار التجار» ، وكانت هذه الرئاسة وراثية يرثها الابن عن الأب جيلا بعد جيل.

وكان ابن رئيس التجار الكارمية يتعلم أصول هذه التجارة باشتراكه فى رحلات تجارية بعيدة وهو فى سن مبكرة ، وقد أوردت المصادر المعاصرة أسماء للعائلات التى تولت رئاسة الكارمية فى العصر المملوكى ، أمثال عائلات: الخروبى والمحلى والدماميني وغيرهم.

وكان أهم ما يميز هذه الطائفة اتحادها رغم تعدد أجناسها وارتباطها مع بعضها برباط المصاهرة مسلمين كانوا أم يهودا ، وشاهد ذلك تلك المصاهرات التى ظلت قائمة أكثر من ثلاثة قرون ، كذلك جمعت بينهم الأخطار التى كانوا يتعرضون لها فى البحر الأحمر والمحيط الهندى سواء كانت هذه الأخطار طبيعية كالأعاصير والرياح وارتفاع الموج والشعب المرجانية من ناحية أو من جهة متجرمة البحار وقراصنتها ، كذاك كان الاشتراك فى تجارة واحدة تتخذ لها طريقا واحدا ، يحتاج بالضرورة إلى قيام طائفة تضم هؤلاء التجار وتحافظ على تجارتهم ومصالحهم(٢٣٦) .

تجار الكارم ومساعدتهم لحركة العلم والعلماء ومآثرهم وأفضالهم :

كان لتجار الكارم مآثر وأيادى بيضاء على المجتمعات والشعوب التى عاشوا فيها أو حلوا بها، لما كانوا يتمتعون به من ثروات طائلة ، ويتحلون به من أخلاق فاضلة وتقوى زائدة، فكانوا يقيمون بإقراض المحتاجين بدون ربح(٢٣٧).

أولا: قاموا بنقل طلاب العلم على سفنهم من الراغبين فى طلبه إلى الجامع الأزهر بالقاهرة فى صورة علمية جميلة، وبعد أن ينتهى هؤلاء الطلاب من دراستهم ويريدون العودة إلى بلادهم أعادوهم مرة أخرى من حيث أتوا تدريجيا فى رحلات علمية أيضا، كما كانوا ينقلون على حسابهم بعض العلماء الذين يريدون الحج والمجاورة فى بيت الله الحرام بمكة.

ثانيا : كانوا يقومون بشراء المخطوطات التى نسخت حديثًا وظهرت فى أسواق البلاد التى يتجرون فيها، إلى راغبى العلم والمعرفة ، وبعضهم نقلوا إلى السلاطين والأمراء المماليك أندر وأنفس المخطوطات مكلفين بذلك منهم ، بل أنهم أنفسهم اقتنوا أعظم الكتب والمخطوطات فى مكتباتهم الخاصة ليطلع عليها كل من أراد، وأيضا كنوع من البركة والجمال، الذى تزدان به قصورهم.

ثالثا : خصص أغلبهم جزءا من ثروتهم لإنشاء المدارس والمساجد والزوايا والمستشفيات وترميمها بالقاهرة ومكة والمدينة.

رابعا : اهتم رجال الكارم بدراسة علوم الدين عامة والحديث خاصة، كما سهروا على العناية بتعليم أبنائهم تعليما خاصا، بإحضار الأساتذة والمشايخ لهم فى قصورهم ولم يبخلوا عليهم فى هذه الناحية، وكانوا يبتاعون لهم المخطوطات بأغلى الأثمان لتنشئتهم تنشئة دينية طيبة[٢٣٨] .

ومن يدرس تاريخ حياة هذه الطائفة بالتفصيل ، يجد أنهم لم يقتصروا على العمل فى تجارة الكارم فى البحار فحسب، بل كانوا أيضا أصحاب وكالات وحوانيت فى داخل البلاد بالقاهرة وغيرها ، وكان منهم من يعمل أيضا بالتدريس والقضاء إلى جانب عمله بالتجارة. وبالجملة فقد كان رجال الطائفة الكارمية فى العصر المملوكى الجركسى خيرة رجال عصرهم مكانة وعلما وخلقا[٢٣٩]. وما يقوم به رجال المال والأعمال الآن من بناء المدارس والمستشفيات فى مصر يذكرنا بتجار الكارم وأعمالهم الجليلة فى خدمة العلم والعلماء والدين الإسلامى .

والآن سنذكر أمثلة لبعض التجار الذين قاموا بإنشاء المساجد والمدارس وغيرها رعاية للعلم: على سبيل المثال لا الحصر وحسبما أسعفتنا به المصادر المعاصرة:

١- برهان الدين المحلى التاجر (٧٤٥-٨٠٦هـ/ ١٣٤٤-١٤٠٣م) : إبراهيم ابن عمر بن على التاجر الرئيس برهان الدين المحلى الخواجا العظيم[٢٤٠] قيل إنه من ذرية طلحة بن عبيدالله ، انتهت إليه رياسة التجار فى زمانه وبلغ من الحظ فى المتجر وسعة المال إلى الغاية، وكان عنده حشمة ومرؤة وخير معروف وبر وعظمت منزلته بمصر وغيرها، جدد بمصر جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة[٢٤١] وبنى عدة أملاك تعرف به [٢٤٢]، أنشأ مدرسة بمصر العتيقة وقف

عليها الأوقاف الكثيرة وعين بها المدرسين ومنهم «شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى» سمع منه صاحب المدرسة ترجمة العلامة البخارى سنة ٨٠٥هـ- ١٤٠٣م.

ولم يزل على رياسته حتى (ت فى ٢٢ ربيع الأول سنة ٨٠٦هـ- ١٤٠٤م) وذكر ابن اياس وفاته فى ذى الحجة من نفس السنة . وقد مدحه البدر الدماميني بشعر قال فيه:

ياســـريا مـــعـــروفـــة ليس يحـــصى ورئيـــســـا زكى بفـــرع وأصل
مـــذ عـــلا فى الورى ملك عـــــزا قلت هذا هو الوزير المحلى[٢٤٣]

٢- بعض الأبناء لم يلتزم بوصية والده فى تكميل المدارس والإنفاق من أوقافها على العلماء والطلاب .

فالحسن بن سويد بدر الدين المصرى، تاجر الكارم (ت فى أوائل صفر ٨٢٩هـ - ١٤٢٦م) بنى مدرسة مقابل حمام جندر بالقاهرة ، مات قبل تكميلها ، وأوصد لإكمالها مبلغ أربعة آلاف دينار، ولكن أولاده ألغوا التدريس الذى كان بها وحولوها إلى مسجد [٢٤٤].

٣- محمد بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق المحب أبو القاسم بن الفاضل الشمسى النويرى[٢٤٥] الميمونى القاهرى المالكى ، ولد بالميمون فى رجب ٨٠١ - وتوفى فى ٤ جمادى الأولى ٨٥٧هـ- ١٣٩٩-١٤٥٣م) ، قدم القاهرة ولازم البساطى فى الفقه والعلوم العقلية، وغيرها وأذن له فى الإفتاء والتدريس، درس كذلك على الجمال الافقهسى والشهاب الصنهاجى والشمس الشطنوفى وغيرهم كثيرون جدا، ألف كثيرا من الكتب والقصائد. كان متواضعا مع الطلبة كبيرهم وصغيرهم مفرطا فى الانبساط معهم، باذلا جاهه لمن يقصده ، ذا كرم بالمال والإطعام . يتكسب من التجارة بنفسه وبغيره ، وقد أغناه ذلك عن الالتفات إلى وظائف الفقهاء ، عرض عليه السلطان جقمق قضاء القدس فامتنع وقضاء مصر فرفض، ولما حضروا إليه بمربعة فيها مرتب العينى فى الجوالى* بعد موته فى كل يوم دينار قال: «إن جقمق يريد أن يستعبدنى فى موافقته بهذا المرتب».

بنى بخانقاه سرياقوس مدرسة وقف عليها كل ما كان فى حوزته من أملاك.

ومن شعره فى المدح :

وأفـضل خلـــق اللـــه بعـد نبـينـا عـتيق ففـاروق فـعـثـمـان مع على

---

* المقصود بهم أهل الذمة (الباحث) .

وسعد سعيد وابن عوف وطلحة عبيدة منهم والنهير فتم لى[٢٤٦]

٤- أما محمد بن محمد بن محمد الفارسكورى البساطى المتوفى قريبا من سنة ٨٨٠هـ ١٤٥٦م أحد المتمولين من بيت تجارة ووجاهة . كان أبوه على قاعدة تجارة دمياط ، يقال إنه كان يسبك الفضة ويبيعها للهنود ، وغيرهم ، وكان يستأجر الغيطان ونحوها ، ترقى حتى زادت أمواله على الوصف، بحيث قيل أنه وجد خبيئة فى بعض المعاصر «بنى مدرسة بدمياط وعمل بها شيخا وصوفية»[٢٤٧].

٥- إبراهيم بن حسن برهان الدين المناوى ثم القاهرى التاجر (ت فى رجب ٨٧٥هـ- ١٤٧١م) عشق التجارة ، فرزقه الله منها حظا وبركة، لإخلاصه لأهل العلم والفقراء ، وصحب الشيخ الغمرى ، وقام لجامعه فى القاهرة بمصاريف كثيرة كزيت الوقود، وتسبيل الماء كل يوم والطعام ليلة الميعاد من كل شهر، والبخارى فى الأشهر الثلاثة رصد له ربعا بالقرب منه ورزقه حبسها عليه وغيره من القُرب . وصار بيته موردا للصالحين ، بل محلا لإقامة غيرهم بعياله[٢٤٨].

٦- عبد الرشيد البرلسى ثم السكندرى التاجر (توفى بمكة فى شوال ٨٨٧هـ- ١٤٨٢م) بنى فى رشيد مدرسة لطيفة علو صهريج بناء مع بيتين آخرين»[٢٤٩].

٧- وتاجر الخيل محمد الشمس بن المرضعة (٧٩٠-٨٨٩هـ- ١٣٨٨-١٤٨٤م)، كان رجلا خيرا، بدأ بتجارة الخيل، وكانت هذه التجارة فى هذا العصر رائجة رابحة جدا لحاجة أهل العصر إليها للركوب فى الأسفار ونقل البريد والحجيج بالإضافة إلى الحروب والتجاريد التى لم تنته طوال هذا العصر ، فحصل له منها رواج عظيم واتسعت دائرته «بحيث ابتنى مدرسة بخط الحجارين بالقرب من دار الخلافة فى طريق المشهد النفيسى».

٨- وهذا قبانى من أصحاب الحرف هو محمد المدعو بركات بن ولى الدين بن شمس الدين بن عبدالكريم القليوبى (ت٨٩٦هـ- ١٤٩١م) القبانى بباب الفتوح، كان صوفيا بسعيد السعداء خيرا يقرأ القرآن ويشهد الجماعات، أصلح مسجدا تجاه خان الوراقة ، وخلوة فوق سطح جامع الحاكم[٢٥٠].

وهذا أحد الأمراء المماليك الصغار الذى كان يخدم عند التاجر نور على الطنهدى، وهو الأمير عنبر الطنبدى الطواشى أعتقه كبير التجار، وخدم عند الأمراء حتى أصبح نائب مقدم المماليك السلطانية (٨٦٧هـ-١٤٦٣م) بنى مدرسة بخط سوق الغنم قبل موته بمدة يسيرة[٢٥١].

الحواشى

١- الرازى :محمد بن أبى بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح - القاهرة دار التراث العربى د.ت مادة (وكالة).

٢- صحيح البخارى جـ٣ ص٢٠ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان .

٣- الفكر الاقتصادى عند الخلال من خلال كتابه «الحث على التجارة والصناعة والعمل تحقيق الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهرانى مكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ مطابع الصفا ، ص٣٨ ،٣٩ .

٤- سورة البقرة ، من آية ٢٨٢ .

٥- سورة النساء، من آية ٢٩ .

٦- سورة الجمعة، من الآيتين ٩ ، ١٠ .

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٥ ص٤١٠ تحقيق أحمد شاكر دار المعارف - القاهرة .

٨- الضريك : كأمير : يعنى الأحمق القاموس المحيط للفيروز آبادى ، أبوبكر أحمد بن محمد الخلال (ت٣١١هـ) : الحث على التجارة والصناعة والعمل ص٦ . نشر مكتبة القدسى والبدين طبع مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٨هـ .

٩- الخلال ... نفس المرجع ص٦ .

١٠- نفس المرجع ص٩ .

١١- نفس المرجع ص١٢ .

١٢- نفس المرجع ص١٣ .

١٣-١٤- نفس المرجع ص١٤ .

١٥-١٦- سمى وكيلا لأن موكله قد وكل إليه القيام بأموره وشئونه ، فهو موكول إليه لأمر، وهى تعنى بذلك أن يعهد الإنسان إلى غيره أن يعمل له عملا ما سواء أكان بأجر أو بدونه ، وكأن تعهد «العروس» إلى ولى أمرها من أب أو أخ أو قريب أن يعقد قرانها على زوجها فى الحال أو المآل. ومن ثم فالذى يقوم بهذا العمل هو «الوكيل» أو «الموكل إليه» فى أداء هذا العمل وللاستزاده (راجع : ابن منظور «لسان العرب جـ١١ مادة (وكل) بيروت ، دار صادر بيروت سنة ١٩٥٦م. أيضا : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية جـ٢ مادة (وكل) ، د. رفعت موسى محمد مجبور : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية الدار المصرية اللبنانية ط أولى سنة ١٩٩٣م ، ص٥٢ وما بعدها .

١٧- القيسارية: مصطلح غير عربى، دخل اللغة العربية بالتقادم وهو مشتق من اسم «قيصر»(Cesar) و«قيصرية» (Cesarie) وهذا المصطلح يعنى سوقا صغيرة مخصصة لبيع السلع اليومية الطازجة كالخضر والفاكهة ومشتقات الألبان من زبد وسمن وجبن وقشدة وحليب وغيرها وعليها بوائك من الخشب لحماية الناس من حرارة الشمس وسقفها جملونى لحماية من بداخلها من ماء المطر، وتحتوى القيسارية على محلات للبيع وورش ومخازن، وفى الطابق العلوى يوجد- غالبا- مساكن يشغلها أصحاب هذه المحلات - راجع كتابنا «الجامع الأحمدى شقيق الجامع الأزهر» ص٤٨٨ طبعة أولى سنة ١٩٩٠م ، نعيم زكى فهمى: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ط القاهرة - الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م ص٢٩٥-٢٩٦ ؛ د. صالح لمعى مصطفى : التراث الإسلامى المعمارى فى مصر ص٧٥ بيروت ، جامعة بيروت سنة ١٩٧٥ م ، كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية سنة ١٩٧٠م ص٥٤ هذا وقد عرّفها باحث آخر حيث ذكر أنها نسبة إلى «بازيلوس» امبراطور القسطنطينية والذى يعادل لقب قيصر روما ، وهذا الاسم أطلق على الأسواق القائمة فى وسط المدينة التى تحف بها البوائك والتى تحولت فى المصطلح الدارج إلى قيسارية راجع : سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام الاسكندرية - منشأة المعارف سنة ١٩٨٦ ، ص٢٠٩ وذكر صاحب معجم البلدان أنها منسوبة إلى مدينة «قيسارية» الموجودة على ساحل بر الشام فى فلسطين . (ياقوت الحموى : معجم البلدان طبع طهران سنة ١٩٦٥ ، جـ٢ ص٢١٤ . أما الفندق : فهى كلمة فارسية تساوى كلمة «خان» ذكرها ابن منظورفى لسانه وأضاف أن الفندق فى لغة أهل الشام «خان» ومن هذه : الخانات التى ينزلها الناس مما يكون فى الطرق والمدائن وله معان أخرى (ابن منظور : لسان العرب مادة (فندق) ، عبد القدوس الانصارى : الفنادق والفندقة فى بلاد العرب . والاسلام (مجلة الفيصل) س١ع١ يونية سنة ١٩٧٧ م ص١٦ ، وبصفة عامة فهو مكان مهيأ لاقامة المسافرين من التجار (للتوسع راجع د. رفعت موسى محمد مجبور : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية ص٣٧ ، ٤٥ ، مرجع سابق .

١٨- المقريزى : الخطط جـ٢ ص٨٢ ط. بولاق .

١٩- د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية - القاهرة دار النهضة العربية سنة ١٩٧٩ ، ص١٩٢ ، د. آمال العمرى : أضواء على المنشآت التجارية فى مصر المملوكية (أبحاث الكتاب الذهبى فى الاحتفال الخمسينى لكلية الآثار) جامعة القاهرة -كلية الآثار سنة ١٩٧٨،ص٦٧- ٧٠ .

٢٠- نعيم زكى فهمى- طرق التجارة الدولية ... ص٢٩٦ مرجع سبق، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الحياة الاجتماعية فى مدينة القاهرة إبان العصر العثمانى ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية) تونس سنة ١٩٨٨ ، ص٤٨١ .

٢١- ابن الصيرفى : الخطيب الجوهرى على بن داود: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان تحقيق د. حسن حبشى ، القاهرة ، دار الكتب سنة ١٩٧٠ م جـ١ ص٢٧١-٢٧٢ .

٢٢- جرابار ، أوليج : تراث الإسلام ، ترجمة د. حسين مؤنس ، إحسان صدقى العمد، مراجعة فؤاد زكريا - الكويت المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سنة ١٩٧٨ ، جـ٢ ص٤٥ .

٢٣- ابن ميسر : أخبار مصر ص٦٢، المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ١ ص٤٥١ ، د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص١٦٠ ، وكانت هذه الوكالة بجوار دار الضرب على يمنة السالك من رأس الخراطين إلى سوق الخيامين والجامع الأزهر للاستزادة راجع : د. آمال أحمد حسن العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى- جامعة القاهرة - كلية الآثار سنة ١٩٧٤ م رسالة دكتوراه ٢ مجلد غير منشورة ص١٦٨ .

٢٤- تولى الخلافة بعد موت والده سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م وكان عمره حينذاك خمس سنوات قتل سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م بعد أن حكم مصر تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصف ، ومن آثاره الخالدة على الزمن للآن [الجامع الأقمر أثر رقم ٣٣ بشارع المعز لدين الله الفاطمى] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ ، ص٢٩٩ ترجمة رقم ٧٤٣ طبع القاهرة النهضة العربية سنة ١٩٤٩ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، نفس المرجع السابق جـ١ ص٣٥٧ ، جـ٢ ص٢٩٠-٢٩١ .

٢٥- ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر وجامع الغرر ، الدر المطلوب فى أخبارملوك بنى أيوب ، جـ٧ ص٤٠٣ تحقيق د سعيد الفتاح عاشور - القاهرة ، المعهد الألمانى للآثار سنة ١٩٧٢م، د. عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر- القاهرة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٣ ، جـ١ ص١٧١ .

٢٦- دكتور محمد الإسكندرانى: اكتشاف رأس الرجاء الصالح وأثره على العلاقات التجارية بين العالم الإسلامى والغرب بحث قدم للمؤتمر الدولى حول التاريخ الاقتصادى للمسلمين بجامعة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٤١٨ هـ أبريل سنة ١٩٩٨م جـ٢ ص٧١ ، ٧٢ .

٢٧- أحمد عبد الحميد خفاجى : طبقة التجار فى مصر المملوكية وأثرها فى المجتمع المصرى (مجلة كلية الآداب- جامعة طنطا) ع١ ص٦٨ ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

٢٨- خطط المقريزى، جـ٣ ص١٤٩-١٥١ طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٥هـ .

٢٩- راجع خطط المقريزى ، جـ٣ ص١٤٠-١٤٨ ، طبعة النيل .

٣٠- أنشأها الأمير قوصون سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤١م) أثر رقم ١١- أى قبل موته فى هذه السنة، وقد خربت هذه الوكالة سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) أيام السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من حيث وجود هجوم تيمور لنلك على الشام وتخريبها ، وفتن الخراب بين الأميرين نوروز الحافظى ، وشيخ المحمودى، وعم الغلاء والفناء، ولم يفيض النيل فى هذا العالم . للاستزادة عن الأمير قوصون . المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ . طبع بولاق .

- عبداللطيف ابراهيم : ثلاث وثائق فقهية (مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة) . مج ٢٥ ، جـ١ مايو ١٩٦٣ ، ص١٢٩ ، د. رفعت موسى محمد الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية ص٥٥ مرجع سابق .

٣١- المقريزى : الخطط نفس المرجع جـ٣ ص١٤٠ وما بعدها .

٣٢- للاستزادة عن السلطان قايتباى وآثاره المعمارية انظر : حسنى محمد نويصر منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة دراسة معمارية أثرية - كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م (رسالة دكتوراه غير منشورة) د. عبد الرحمن عبد التواب قايتباى المحمودى - الأعلام ، طبع الهيئة العامة للكتاب وترجمتنا له فى هذا البحث .

٣٣- أثر رقم ٧٥ (٨٨٢هـ- ١٤٨٠م) هذا ولم يبق منها الآن إلا الطابق فوق الأرض والسبيل الملحق بها ، ويطلق عليها العامة وكالة «حلة».

٣٤- أثر رقم ٩ (٨٨٥هـ - ١٤٨٠-١٤٨١م) .

٣٥- سجل هذا البيع فى الوثيقة رقم ١٤١ جـ أوقاف ، وذكرت هذه الوكالة فى وثيقة ٨٨٢ أوقاف ، وقد أرخها الدكتور أحمد محمود عبد الوهاب المصرى بنهاية القرن ٩هـ/ نهاية ق١٥ أو أوائل ق١٦ راجع رسالته: العمارة فى وثائق الغورى الجديدة بوزارة الأوقاف - جامعة أسيوط - آداب سوهاج سنة ١٩٨١ م ، ص٤٢ - ٤٥ .

٣٦- أثر رقم ٦٤ (٩٠٩-٩١٠هـ / ١٥٠٤-١٥٠٥م) .

٣٧- صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى ... ص٦٠ مرجع سابق .

٣٨- تقوم وزارة الثقافة الآن على قدم وساق بترميم وتجديد هذه الوكالة بعد أن فرّغت منها أصحاب الحرف التقليدية (النحاس والزجاج وخشب الخرط والخزف والحلى الشعبية وغير ذلك) ، ونقل منها كذلك جمعية «أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة» ومرسمها الحر(الباحث) .

٣٩- راجع : فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، القسم الثانى- الترتيب التاريخى ص١٠-١٤ بينما يذكر د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم أن عددها أربعة عشر من خلال الوثائق وهم : وكالة الزيت ، وكالة الغورية ، وكالة باب الشعرية، وكالة الماوردى، وكالة الجراكسة ، وكالة الكعكيين وكالة السكر ، وكالة المرجان ، وكالة الجلابة ، وكالة ذو الفقار ، وكالة الحشر، وكالة الشرايبى ، وكالة أحمد المراكشى، وكالة المغاربة راجع: د. عبد الرحيم عبد الرحمن : نشوء الرأسمالية المصرية المحلية خلال العصر العثمانى (مجلة كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر) ع٣ سنة ١٩٨٥م ، ص٢٩٩-٣٠٠ . لكن أدموند بوتى ذكر ستة عشر وكالة فى القاهرة وبولاق (ق١٠هـ- ١٦م) وهم : وكالة حسن الباشا الوزير (أثر رقم ٥٣٨) سنة ٩٩١هـ ١٥٨٣م وكالة الخروب ((أثر رقم ٥٣٦ق١٠هـ- ١٦م) وكالة سليمان باشا (أثر رقم ٥٣٩)(٩٤٨هـ ١٥٤١م) وجميعهم فى بولاق (ق١١هـ / ١٧م) وكالة الوش أثر رقم ١٩ (١٠٨٤هـ- ١٦٧٣م) بينما ذكرت فى فهرس الآثار الإسلامية وكالة أودة باشى، وكالة مصطفى بيه طبطباى أثر رقم ٢٧٢ (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) بباب النصر ولم تذكر فى فهرس الآثار الإسلامية ، وكالة عباس أغا (أثر رقم ٣٩٦ (١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م)، وكالة النقادى (أثر رقم ٣٩٧) (١٠٢٨هـ - ١٦١٨م) وكالة جمال الذهبى (أثر رقم ٤١١) - (١٠٤٢هـ- ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٢-١٦٣٥م) ، وكالة محمدين (أثر رقم ٥٠٠) (ق١١هـ- ١٧م) ولم تذكر فى فهرس الآثار الإسلامية، وكالة الحرمين (أثر رقم ٥٠١) (ق١١هـ- ق١٧م) وكذلك لم تذكر فى فهرس الآثار الإسلامية وكالة التوتنجى أثر رقم ٥٤٨ (ق١١هـ / ١٧م) أما القرن ١٢هـ ١٨م فقد حاز على ثلاث وكالات هى وكالة نفيسة البيضا (أثر رقم ٣٩٥) ١٢١١هـ/ ١٧٩٦ وكالة بازرعة (أثر رقم ٣٩٨) ق١٢هـ ١٨م) وكالة الشرايبى أثر رقم ٤٦٠ (١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) راجع د. رفعت موسى محمد : الوكالات والبيوت ص٦٠ حاشية ١ .

٤٠- الخطط جـ٣ ص١٥٣-١٥٤ طبعة النيل .

٤١- أثر رقم ٦٤ (٩٠٩-٩١٠هـ / ١٥٠٤-١٥٠٥م).

٤٢- أثر رقم ٥٣٦ (ق١٠هـ-١٦م) .

٤٣- أثر رقم ٥٣٩ (٩٤٨هـ / ١٥٤١م) .

٤٤- أثر رقم ٥٣٨ (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) .

٤٥- للتوسع راجع د. رفعت موسى محمد مجبور : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية - مرجع سابق ، ص٦١ ، ٦٢ .

٤٦- راجع ملحق رقم وثيقة من أربع صفحات لحوانيت ورباع وحجرات سكنت بالأهالى فى وكالات تابعة لرواق المغاربة بالأزهر ، وينفق ريعها على مصالحه وطلاب العلم المجاورين به .

٤٧- د. محمد محمد أمين وليلى على ابراهيم : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية القاهرة - الجامعة الأمريكية سنة ١٩٩٠م ص٢٢ .

٤٨- د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٦٠ ، د. آمال أحمد حسن العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى رسالة دكتوراه - غير منشورة -كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ .

٤٩- أنبوب ينطلق منه الماء إلى الفسقية فإذا كان ثابتا أطلق عليه فوار والمتحرك منه يسمى دوارة (د.محمد محمد أمين المصطلحات .. نفس المرجع ص٨٥ ، ٨٧) .

٥٠- مازال الناس فى بعض قرى مصر يطلقون على المكان الذى يضعون فيه تموين البيت من أرز وفول وذرة وغيرها حاصل ويعنون به «المخزن».

٥١- كما فى وكالة الغورى بشارع التبلبطة بالأزهر (راجع د. مجاهد توفيق الجندى: المعمار المسلم سبق العالم الغربى فى تشييد الأسواق التجارية المتكاملة - جريدة الإيمان الكويتية (العدد ٨٨٥٨ الجمعة ١٧ من شوال سنة ١٤٢١هـ ٢ يناير سنة ٢٠٠١ م ص٤) .

٥٢- الصهريج : هو خزان أرضى للمياه يبنى بالطوب الآجر والغافقى فى تخوم الأرض لحفظ المياه، وله قبة غير عميقة مقامة على دعامات وقناطر من الحجر الفص النحيت ، وتغطى فوهته بخرزة من الرخام أو الحجر الصد المستدير الشكل (د. عبداللطيف ابراهيم : وثيقة قراقجا الحسينى أمير أخور كبير ص٢٠٣ مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة مج١٨ ج٢ ، د. مجاهد الجندى : الجامع الأحمدى ص٤٨٢ ، ٤٨٣ .

٥٣- الرواق : يطلق على المساحة المحصورة بين صفين من العقود ، وهو القاعة أو الايوان أو الغرفة ، وفى العصر المملوكى كان يختلف معنى الرواق فى المسجد عنه فى المنزل ففى المساجد كان معناه المسطحات المسقفة التى بين الأعمدة وفى المنازل الوحدة السكنية أو بعضها (صالح لمعى : التراث المعمارى الاسلامى ص٩٥) .

٥٤- الدرقاعة هى الجزء الذى يتوسط القاعة أو المسجد أو المدرسة ، وعنها يمكن الدخول إلى أجزائها ويكون مستوى أرضية الدرقاعة منخفضا عن مستوى أرضية الأواوين بمقدار درجة سلم ... للاستزادة أ.د. محمد محمد أمين : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص٥٠ ، د. مجاهد توفيق الجندى : الجامع الاحمدى شقيق الجامع الأزهر ص٤٨٧ طبع أولى سنة ١٩٩٠م ، وثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ص٨٦ دار المعارف بمصر سنة ١٩٨١ م.

٥٥- الحقوق هى غرفة الخدمات (المعيشة) توجد دائما مع كلمة منافع (د. صالح لمعى مصطفى التراث المعمارى الاسلامى فى مصر ط. بيروت سنة ١٩٧٥ ، ص١١٨) .

٥٦- د. رفعت موسى محمد مجبور : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية ص٦٩ الدار المصرية اللبنانية ط. أولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٥٧- الخطط المقريزية جـ٢ ص٩٣ طبع بولاق مرجع سابق .

٥٨- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط جـ٢ مادة (قنصل) .

٥٩- طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ص٥٩ .

٦٠- نفس المرجع ص٥٩ .

٦١- صبح الأعشى جـ٨ ص٥٣ طبع دار الكتب المصرية . وللتوسع راجع : صبحى لبيب: الفندق ظاهرة سياسية ص٢٩٥-٢٩٩ .

٦٢- دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى... ص٧٧ دار النهضة العربية سنة ١٩٦٢ م .

٦٣- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية جـ١ مادة سمسر .

٦٤- ابن منظور : لسان العرب مج٤ مادة سمسر .

٦٥- نفس المرجع .

٦٦- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية جـ١١ مادة (دلال) ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦، ص٦٤ .

٦٧- السبكى : تاج الدين عبد الوهاب ت٧٧١هـ - معيد النعم ومبيد النقم تحقيق محمد على النجار وأبوزيد شلبى ومحمد أبو العيون القاهرة ، والخانجى سنة ١٩٤٨م.، ص١٤٣-١٤٤ .

٦٨- ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ٤ ص٣٠٤ ، د. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف جـ٣ ص٩٩١ .

٦٩- د. رفعت موسى محمد مجبور : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية - مرجع سابق - ص٧٤ ، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : نشوء الرأسمالية المصرية المحلية خلال العصر العثمانى - مجلة كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر سنة ١٩٨٥ عدد ٣ ص١٩٦ .

٧٠- ابن الاخوة : محمد بن محمد أحمد القرشى : معالم القربة فى أحكام الحسبة . تحقيق روبن ليوى بكيمرج - دار الفنون سنة ١٩٣٧ ص١٥٢-١٥٣ .

٧١- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية مادة (بوّاب) .

٧١- السبكى : معيد النعم - نفس المرجع ص١٤٤-١٤٥ وللاستزادة د. حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف جـ١ ص٣٢٠-٣٢٣ .

٧٣- تدهورت أحوال صاحب هذه الوظيفة عندما أصبح البواب يتقاضى مرتبا لايكفيه وأولاده خبزا فقط فى الشهر فترك الباب وصار يبحث عن رزقه ومن هنا تندر العامة بقولهم لمن يدخل بدون إذن : هى وكالة من غير بوّاب (الباحث) .

٧٤- ابن منظور : لسان العرب مجلد ١٢ مادة (ترجم)، المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية جـ١ مادة (ترجم) .

٧٥- ابن طولون الدمشقى شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان - تحقيق محمد مصطفى - القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٤م جـ٢ ص١١١ . وللتوسع راجع: القلقشندى : صبح الأعشى جـ٨ ص١٢٣-١٢٥ ط. دار الكتب المصرية .

٧٦- ابن منظور : لسان العرب ط١ بيروت دار صادر . دار بيروت ١٩٥٦م مجلد ١٣ مادة (ثمن) مرجع سابق والمعجم الوسيط جـ١ مادة (ثمن) .

٧٧- صبحى لبيب : الفندق ظاهرة سياسية ... ص٢٩٤ .

٧٨- د. حسن الباشا فى الفنون الإسلامية والوظائف .. جـ١ ص٤٢٩ ، ٤٣٠ .

٧٩- ابن طولون الدمشقى : مفاكهة الخلان ، نفس المرجع ج٢ ص١١٠-١١١، أحمد المصرى - العمارة فى وثائق الغورى ... ص١٩ .

٨٠- د. حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف جـ١ ص٤٢٩، ٤٣٠ .

٨١- نفس المرجع جـ٣ ص٨٩٢ .

٨٢- أحمد المصرى - العمارة فى وثائق الغورى ... ص١٧ ؛ ابن الاخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ص٨٤ ، صبحى لبيب ، الفندق ظاهرة سياسية ص٢٩٤ .

٨٣- حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف جـ٢ ص٨٩١ ؛ والبرنبالى: نسبة إلى «برنبال» بلدة تتبع مركز منية النصر دقهلية تنقسم إلى برنبال القديمة وبرنبال الجديدة، راجع : دليل المحافظات والأقسام والشياخات ص٢٧ رئاسة مجلس الوزراء / مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. مصلحة الأحوال المدنية.

٨٤- ابن منظور : لسان العرب مج ١ مادة (دلب) - محمد على الأنسى : الدرارى اللامعات فى منتخبات المغات مادة (دولاب) ص٢٦٢ .

٨٥- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية مادة (شد) ، د. حسن الباشا الفنون الإسلامية والوظائف جـ٢ ص٦٠٤ ، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٤ ص٢١٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

٨٦- صبح الأعشى جـ٣ ص٣٩٠ مرجع سابق .

٨٧- د. محمد محمد أمين : الشاهد العدل فى الشرع الإسلامى- دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق اسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك (مجلة الدارة السعودية) س٨ ع٢ أكتوبر سنة ١٩٨٢ م ص١٢٦ .

٨٨- د. حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ... جـ٢ ص٦١٩ .

٨٩- السبكى : معيد النعم ... ص٦٣ ، ٦٤ ، د. حسن الباشا الفنون والوظائف ص٦١٨-٦٢٢ .

٩٠- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٧٣٢هـ : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ٣ ص٢٩٩ القاهرة- دار الكتب المصرية.

٩١- ابن الصيرفى : نزهة النفوس ... مرجع سابق ج١ ص١٣٢ .

٩٢- عن هذه الوظائف راجع القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص٤٦٢ ، ج٤ ص٣٣ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ج٥ ص٤٦٥ ، ج٦ ص٣١ ، ج١١ ص٣٥٣ .

٩٣- ابن طولون الدمشقى : مفاكهة الخلان ج١ ص١٤٨ .

٩٤- د. حسن الباشا : الفنون والوظائف ج٣ ص٩٠١ - ٩٢٠ .

٩٥- دكتور عمر عبد العزيز العانى: العاقات التجارية بين المسلمين وغير المسلمين فى الفقه الإسلامى- بحث قدم للمؤتمر الدولى حول التاريخ الاقتصادى للمسلمين فى الفترة من ٢٨-٣٠ ذى الحجة سنة ١٣١٨هـ (٢٥-٢٧ أبريل سنة ١٩٩٨ م) مركز صالح كامل وقسم التاريخ فى كلية اللغة العربية

بالقاهرة - وقسم التاريخ فى كلية الدراسات الإنسانية بنات جامعة الأزهر ملخصات البحوث ص٢٥، ٢٦ .

٩٦- من الطرق التجارية إلى وكالات القاهرة درب الأربعين الذى ربط تجارة غرب أفريقيا والسودان بها قرونا طويلة ... لقد سرنا عليه فى رحلة علمية لقسم التاريخ والحضارة فى كلية اللغة العربية يوم ٢٧ يناير / ١ فبراير٢٠٠١ فى زيارة لمحافظة الوادى الجديد وأطلعنا على بعض القلاع الإسلامية وقرية المكس.

٩٧- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ٧ ص٢٣٨-٢٣٩ .

٩٨- نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ أهل الزمان لابن الصيرفى ج٣ ص٥ ، النجوم الزاهرة، ج١٤ ص٢٤٢ .

٩٩- خطط على مبارك ، جـ١ ص٤٤، ٤٥ ، راجع فى صفاته وأولاده : النجوم الزاهرة، ج١٥ ص١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

١٠٠- البدر الطالع ، ج١ ص١٦١ ، ١٦٢ .

١٠١- نزهة النفوس ، ج٣ ص١٤٤ .

١٠٢- راجع غزواته الثلاثة فى : نزهة النفوس ، ج٣ ص٧٦ ومابعدها ، والغزوة الثالثة ص٨٤ ، وما بعدها ، ص٢٥٠ ، ٣٠٢ ، ٣٣٨، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، وكذلك النجوم الزاهرة جـ١٤ ص٢٧٠ ، الغزوة الأولى، والثانية ص٣٧٦ ، والثالثة وفيها بعض أعيان الفقهاء ص٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٨ .

١٠٣- راجع نزهة النفوس جـ٣ ، ص١٨٥ حيث جمع السلطان تجار الكارم وألزمهم بأوامره ومرسومه .

١٠٤- راجع : نزهة النفوس ، جـ٣ ص١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٨٥ .

١٠٥- شذرات الذهب، جـ٧ ص٢٣٩ .

١٠٦- نزهة النفوس، ص٣٧٧ .

١٠٧- راجع ترجمته بالضوء اللامع جـ٣ من ص٨-١٠ .

١٠٨- خطط على مبارك ، جـ١ ص٤٥ .

١٠٩- أثر رقم ١٧٥ .

١١٠- تقع الآن فى شارع المعز لدين الله الفاطمى فى التقاطع بين شارعى الأزهر والموسكى بجوار الخناوى صاحب محل العطر هناك ، الاسحاقى: أخبار الأول، ص١٤٨ .

١١١- النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ، ص١٨٧ ، ١٨٨ . نزهة النفوس ج٣ ص٢٦ .

١١٢- راجع النجوم الزاهرة ج١٦ ص١٨٠ .

١١٣- نزهة النفوس ، ج٣ ص٥٣ .

١١٤- العلامة القاياتي: محمد بن على بن محمد بن يعقوب من محمد الشمس أبوعبدالله بن النور القاياتى القاهرى الشافعى، ولد سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م بالقايات من أعمال البهنساوية، درس الفرائض على عمه الذى كان ماهرا فيها بالقاهرة، تكسب بالزراعة ثم نزل طالبا بالمؤيدية ، ثم مدرسة المحدثين بالبرقوقية ، ثم مدرس الشافعية بأشرفية برسباى ، ثم شيخ سعيد السعداء ثم مدرس بالغرابية، خطبة الظاهر جقمق للقضاء فباشره بعفة ونزاهة ولم يأذن إلا قليل من النواب، نظم الأوقاف وعمرها ونظر فى مصالحها وصرف لمستحقيها ثم تعين أخيرا لتدريس الفقه بالصلاحية والشيخونية، ثم مشيخة البيبرسية ونظرها (ت فى محرم ٨٥٠هـ- ١٤٤٦م) وكان عالما علامة غاية فى التحقيق وبالتدقيق وجودة الفكر، وكانت طريقته فى التدريس أحسن قبل القضاء لتصديه للعلم ليل نهار (الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع للسخاوى).

١١٥- ولد بزرزارا من قرى مصر، ثم رحل إلى اليمن مع البدر الدمامينى، درس الفقه المالكى بالشيخونية والبرقوقية والأشرفية ببرسباى ، أفتى وانتفع به الطلبة (ت٨٤٦هـ- ١٤٤٠م)، راجع ترجمته بأنباء الغمر (وفيات ٨٤٦هـ) ، والضوء اللامع جـ٤ ص٦٦ ، البقاعى: عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، ترجمة رقم ٢٤٩ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٧٩ .

١١٦- كانت الزركشة صنعة والده، رحل فى طلب العلم إلى دمشق ونابلس واسكندرية ودمياط ، والصعيد ، ترجمته فى أنباء الغمر رقم ٧ فى وفيات ٨٤٦هـ ، البقاعى: مرجع سابق، ترجمة رقم ٢٧٢ ، ص١٧٩ .

١١٧- نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص١٩٥ ، ١٩٦ .

١١٨- خطط على مبارك ، جـ٤ ص٥٨ ، حجة وقف برسباى.

١١٩- حجة برسباى رقم ٨٨٠ أ ، أوقاف ، ٥٠٥ ميكروفيلم ص١٧٩ . المجلس الأعلى للثقافة .

١٢٠- حجة برسباى رقم ٨٨٠ أ ، أوقاف ، ص١٨٤ .

١٢١- راجع ص١٩١ من نفس الحجة ، ويلاحظ أن هذه هى الحجة الوحيدة التى ذكرت خطاطين يعلمون أرباب الوظائف بهذه المدرسة تحسين الخط خاصة.

١٢٢- نزهة النفوس، ص٣٩٥ ، ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة . ص٣٢٢، حسن عبد الوهاب ، مساجد القاهرة ، ص٢٢٩ ، د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، مرجع سابق ص١٠٦ .

١٢٣- النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٢٠٤ ، الضوء اللامع ، ج٨ ص١٤٣ .

١٢٤- خطط على مبارك، جـ٤ ص٥٩ .

١٢٥- راجع حجة برسباى ، بأرشيف وزارة الأوقاف .

١٢٦- راجع حجة برسباى رقم ٨٨أ، أوقاف ، المصدر السابق .

١٢٧- أثر رقم ١٧١ .

١٢٨- راجع حجة برسباى نفس المرجع ، خطط على مبارك ، ج٤ ص٥٩ ، د. ابراهيم طرخان : مرجع سابق ، ص٢١٨ وما بعدها ، ص٣٢٢ .

١٢٩- الخطط التوفيقية ، ج٤ ص٥٨ .

١٣٠- راجع : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان ص١٨٥ .

١٣١- د. سعاد ماهر ، محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ص٥٢،٥٣ .

١٣٢- للسلطان برسباى مصحف بمعرض دار الكتب برقم ١٩ مصاحف .

١٣٣- نزهة النفوس، ج٣ ص٥٥ .

١٣٤- المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

١٣٥- النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٣٩٤ ، ٣٩٥ ، عبد الرحمن عبد التواب : قايتباى المحمودى ص٩ وما بعدها .

١٣٦- راجع الملاحق .

١٣٧- الضوء اللامع ، ج٦ ص٢٠١-٢١١ ، الاسحاقى، أخبار الأول ، ص١٥٠ ، البدر الطالع للشوكانى، ج٢ ص٥٥ ، ٥٦ .

١٣٨- راجع د. سعاد ماهر : الجمهورية العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص٦٤ ، ومدفون بهذا المسجد زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى ، وقد أعلا بناءه من جديد السلطان قايتباى ، كما هو مدون على اللوحة المثبتة داخل الضريح .

١٣٩- سلامون الغبار : إحدى قرى مركز بسيون محافظة الغربية وقد زار الباحث القرية بصحبة عمدتها الشيخ محمد الجندى سنة ١٩٨٠م.

١٤٠- على مبارك : الخطط ، جـ١١ ، ص٥٢ ، د. سعاد ماهر، محافظات الجمهورية ، ص١٧٩ ، ١٨٠، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، راجع حجة وقف السلطان قايتباى على هذه المدرسة رقم ٨٨٩ (ق) . أوقاف بتاريخ ٢٥ ذى الحجة سنة ٨٨١هـ، تحقيق د. محمد محمد أمين .

١٤١- شذرات الذهب ، ج٨ ص٨ .

١٤٢- التحفة السنية ، ص١٦٦ .

١٤٣- الضوء اللامع ، مرجع سابق نفس الجزء والصفحات ، تاريخ التربية فى مصر، ص٢١٨-٢١٩ .

١٤٤- عبد الرحمن زكى : قلعة مصر، ص٥١ ، ١٠٥ ، ١١٠ .

١٤٥- راجع حجة وقف السلطان قايتباى على هذه المدرسة رقم ٨٨٦ أوقاف ، ٥٠٣ ميكروفيلم المجلس الأعلى للثقافة .

١٤٦- الخطط التوفيقية ، ج١ ص٤٦ .

١٤٧- قايتباى المحمودى ، ص٨٤ .

١٤٨- شذرات الذهب، ج٨ ص٦، ٧ ، ٨، ٩ ، راجع حجة وقف السلطان قايتباى على هذه المدرسة ، رقم ٨٨٧ أوقاف ٤٩٤ ميكروفيلم .

١٤٩- راجع عمائر السلطان وأماكنها بمصر فى: قايتباى المحمودى من ص١٨٦-١٩٣ للعمائر الدينية والتعليمية ، من ص١٩٤-١٩٨ للعمائر المدنية، من ص١٩٨-٢٠٠ للأسبلة التى يعلوها الكتاتيب ، ومن ص٢٠٠-٢٠١ لأعمال الرى، ومن ص٢٠١-٢٠٤ للعمارة الحربية ، ومن ص٢٠٤-٢٠٥ لعمائره بالشام، ومن ص٢٠٥-٢٠٨ لأعماله بالحجاز. أما عمائر رجال الدولة ووجهاء مصر فى عهده فمنها : (١) مسجد المرأة ((فاطمة الشقراء) بشارع تحت الربع، (٢) مسجد تميم الرصافى بحى السيدة زينب، (٣) مسجد وسبيل تمراز الأحمدى بالسيدة زينب ، (٤) مسجد وقبة جانم البهلوان بأول شارع السروجية ، (٥) مدرسة أبوبكر مزهر بالخرنفش (راجع : عارف رزق : رسالة ماجستير عن هذا المسجد رقم ١٠٣٦ بجامعة القاهرة ، (٦) مسجد وحوض قجماس الاسحاقى بالدرب الأحمر (حسن عبد الوهاب : ص٢٦١ ، ٢٦٦) ، (٧) مسجد السلطان أبى العلا (٨) تكية أحمد أبوسيف بالقرافة الشرقية ، (٩) زاوية فاطمة أم خوند بباب الشعرية (١٠) مسجد بدر الدين الوفائى بشارع الزرايب بحى الخليفة، (١١) مسجد ازدمر بشارع صلاح سالم بجوار مجرى العيون (١٢) مدرسة الأمير أزبك اليوسفى بحى السيدة زينب ، (١٢) ضريح الشرفا بالقلعة ، (١٤) مقعد الأمير ماماى ببيت القاضى

بالجمالية ، بالإضافة إلى آثار الأمراء التى عفا عليها الزمن كجامع أزبك بن ططخ بالأزبكية وحوضه وسبيله ببركة الحاج.

١٥٠- للسلطان قايتباى وثائق وقف بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة على منشآته هذه مسجلة تحت أرقام : ٨١٠ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠، ٩١٢ (ق) ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦٧٠ ، ٦٧٦ ج ولم ينشر منها سوى جزء من الوثيقة رقم ٨٨٦ والوثيقة رقم ٨٨٧ انظر د. عبد اللطيف ابراهيم على : كتاب مؤتمر الآثار الثالث فى البلاد العربية ١٩٥٩م كما يوجد مجموعة منها بمحكمة الأحوال الشخصية تحت أرقام ١٨٧ محفظة ٢٨، ١٩٧ ، محفظة ٣٠، ٢١٠ محفظة ٣٣، ٢١٥ محفظة ٣٤ .

١٥١- راجع مجالس : ذى القعدة ٨٧٢هـ، ربيع الآخر ٨٧٣هـ، ربيع الآخر ٨٧٥هـ، ربيع الآخر ٨٧٦ هـ، ٢٥ من جمادى الأولى ٨٧٦هـ، رجب ٨٧٦ ، ١٠ رجب ٨٧٦هـ ، شوال ٨٧٦ هـ، رجب ٨٧٦هـ، رجب ٨٧٧هـ، المحرم ٩٠٠هـ، فى كتاب قايتباى المحمودى ص٤٨-٦٣ . وفى هذا المجلس الأخير سأل السلطان الشيخ جلال الدين السيوطى عن أى سُنَّةٍ سنها الرسول ﷺ ولم يفعلها ، فلم يجبه السيوطى، وكان لدى السلطان كتاب «حيرة الفقهاء» ثم أجاب السيوطى بعد ذلك بأن السلطان يقصد الأذان ، فأنه سنة ولم يفعله ، والأصح أنه أذن فى وقت أورد فى ذلك الحديث، وعمل فى هذه المسألة كراسة مطولة.

١٥٢- قايتباى المحمودى ، مرجع سابق ، ص١٣١ .

١٥٣- الضوء اللامع ، جـ٨ ص١٧٦-١٧٨ ، نمرة ٤٣٨ .

١٥٤- قايتباى المحمودى، ص١١٨ .

١٥٥- الخطط التوفيقية ، جـ١ ص٤٦ .

١٥٦- راجع قايتباى المحمودى، ص٨٠-٨٣ ، إلا أن بعض الأهالى يستعملون هذا الربع الآن فى عمل ورش الحديد وغيره، كما يربون فيه أنواعا من الحمام ، وهو ظاهر للعيان، ولمن أراد الاطلاع على ذلك فليذهب إلى هناك ليرى مدى الاستعمال السئ لهذه الآثار النادرة الآن (الباحث) . وهذا الربع يقع على يمين الداخل من باب النصر .

١٥٧- قايتباى المحمودى، ص٣١-٣٢ .

١٥٨- راجع رحلاته بالتفصيل فى المراجع المعاصرة، قايتباى المحمودى ، ص٦٣-٨٥ ، وهذه سنوات خروجه ورحلاته : فقد كان أول ركوبه من القلعة فى شعبان ٨٧٢هـ، وفى صفر ٨٧٣هـ خرج للنزهة ،

وفى ربيع الأول ٨٧٣هـ خرج إلى خانقاه سرياقوس، وفى شوال ٨٧٣ هـ توجه إلى قليوب وقناطر أبى منجا ، وفى ذى القعدة ٨٧٣هـ توجه إلى طرا فى ضيافة ، فى نفس الشهر والسنة سافر إلى بحيرة تنيس على حين غفلة وانقطع خبره عن الناس مدة ، وصلى العيد بفارسكور ، وفى جمادى الأولى ٨٧٤هـ نزل بركة الحاج ، وفى جمادى الآخرة ٨٧٤هـ توجه إلى خليج الزعفران للنزهة ، وفى ذى القعدة من نفس السنة خلع الصوف ولبس البياض وابتدأ ضرب الكرة مع امرائه ، وفى ربيع الأول ٨٧٦هـ ذهب للنزهة إلى طرا، والمطرية ، وفى جمادى الآخرة ٨٧٥ سار إلى الخانكة والعكرشا وهو راكب الهجن ، وفى رجب ٨٧٥هـ توجه إلى الأهرام، وفى ذى القعدة ٨٧٦ هـ نزل فى ضيافة ، وفى المحرم ٨٧٦هـ توجه إلى شبين القصر وقد شب عليه فرس رفسه وكسر ساقه ، وفى ربيع الآخر ٨٧٦هـ نزل إلى خليج الزعفران للنزهة ، فوجد امرأة ميتة فأم الجماعة وصلى عليها ، وهذه حسنة من حسناته ، ومكرمة توضع فى سجلاته . وفى رجب ٨٧٦هـ نزل للمحاكمات ، وفى صفر ٨٧٧هـ توجه إلى دمياط ورشيد وتوجه وركب البحر، واستغرقت الرحلة ١٣ يوما . وفى جمادى الأولى ٨٧٨هـ توجه إلى طرا ، وفيه أيضا توجه إلى خليج الزعفران، وفى ربيع الآخر نزل إلى شبرا بعد أن أشيع سفره إلى الشام، فى جمادى الآخرة ٨٨٠هـ توجه إلى طرا فى ضيافة وقد لدغته نحلة تورم منها وجهه وعاد لتوه . وفى جمادى الآخرة ٨٨٠هـ توجه إلى دمياط، ثم ذهب إلى مكان ليصيد فيه السمك البورى وعاين كيف يصاد وهو راكب مركب صغير ، وفى رجب ٨٨٠هـ سافر لبيت المقدس خلسة وزار الخليل ومكث بالقدس ثلاثة أيام، وقد أمر ببناء جامع بالقرين وهو مار بهذا البلد، وفى ذى القعدة ٨٨٠هـ سافر للفيوم للمرة الثانية وشاهد الطاحون الذى أنشأه خيربك من حديد ويدور بالماء ، وفى شعبان ٨٨١هـ نزل للرماية . وفى رمضان ٨٨١هـ أشيع بين الناس أن السلطان ارتدى زى المغاربة ونزل إلى الجامع الأزهر، وصلى به، وكان يسأل فى بعض الطرقات الناس عن سيرة نفسه، ووقع له مع الناس فى هذا الأمر أشياء عجيبة وسمعهم وهم ينقدونه .

١٥٩- أثر رقم ١٢ .

١٦٠- قايتباى المحمودى ص٤٢ .

١٦١- راجع أحداث هذه الواقعة فى المراجع المعاصرة ، قايتباى المحمودى ص٤٢-٤٥ .

١٦٢- المرجع السابق ص٨٥ .

١٦٣- خطط على مبارك ج١ ص١٤٧ .

١٦٤- شذرات الذهب ج٨ ص٩، قايتباى المحمودى ص٨٦-٨٨ ، خطط على مبارك ج١ ص١٤٧ . وقد أحسنت وزارة المالية حينما صورت مسجد السلطان قايتباى على الورقة الجديدة فئة الجنيه وذلك كنوع من التخليد لآثارنا الإسلامية، وكنوع من تشجيع السياحة الدينية فى مصر التى ترتبط بذكريات هذا السلطان العظيم (الباحث) .

١٦٥- ضبط الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة الغورى بفتح العين لا ضمها، وبين أن حجته فى ذلك مصحف فى دار الكتب المصرية كتب باسم الغورى عليه بهذا الضبط ، ويرشح هذا الرأى ويقويه أبيات كثيرة فى الشاهنامة التركية جاء فيها القافية مع كلمات مثل ثور وغور، وأن الاسم ضبط هذا الضبط فى عنوان هذا الكتاب (راجع ص٨ من كتاب مجالس السلطان الغورى للدكتور عبد الوهاب عزام) .

١٦٦- شذرات الذهب ، جـ٨ ص١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٢ ، الأشرف قنصوه الغورى للدكتور محمود رزق سليم، ص٣٠-٣٣ ، الاسحاقى : أخبار الأول ، ص١٥٢ .

١٦٧- د. عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغورى ، ص٩ وما بعدها . د. محمود رزق سليم المرجع السابق ، ص٣٣-٣٥ .

١٦٨- بدائع الزهور، حوادث سنة ٩٠٦هـ.

١٦٩- راجع صورة الغورى فى أول كتاب مجالس السلطان الغورى للدكتور عبد الوهاب عزام.

١٧٠- بدائع الزهور ، ج٦ ص٨٧ (حوادث سنة ٩٢٢هـ) .

١٧١- بدائع الزهور ، جـ٤ (ط ألمانيا) ص٢٥٤ ، ٢٥٥ ، مجالس السلطان الغورى ، ص١٥-١٧ ، الأشرف قنصوه الغورى ، مرجع سابق ، ص١٨٠ .

١٧٢- بدائع الزهور (ط ألمانيا) ، ص١٧١ ، ج٤ .

١٧٣- المرجع السابق ، ص٩٤ ، مجالس السلطان الغورى، ص٣٢ .

١٧٤- المرجع السابق ، ص١٠٢ .

١٧٥- نفس المرجع والصفحة.

١٧٦- المرجع السابق ، ج٤ ص١٧٢ ، مجالس السلطان الغورى، ص٣١ .

١٧٧- الأشرف قنصوه الغورى ، ص١٨٥ .

١٧٨- بدائع الزهور ، جـ٤ ص٨٦ حوادث سنة ٩٢٢هـ .

١٧٩- بدائع الزهور ، ج٤ ص٢٣٩ ، ٢٤١ ، وراجع الأشرف قنصوه الغورى ، ص٩١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وللشاعر بدر الدين الزيتونى من أدباء العصر قصيدة طويلة فى منشآت الغورى (بدائع الزهور) جـ٤ ص١٠٢ .

١٨٠- وقد تهكم اسماعيل شاه الصفوى ببستان الغورى هذا وانشغاله بغرس الأشجار بقصيدة أرسلها إليه وقد رد عليه شعراء العصر بعدة قصائد رنانة راجعها فى : بدائع الزهور جـ٤ ص٢٢١-٢٢٧ (ط ألمانيا) ، مجالس الغورى ، ص٢٩ ، ٣٠ .

١٨١- بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص٧٧ ، د. حسن الباشا : القاهرة تاريخها وآثارها وفنونها ، ص١٤٣-١٥٣ .

١٨٢- الأشرف قنصوه الغورى ، ص٧٠ .

١٨٣- راجع عن منشآت الغورى، المرجع السابق، من ص٨٧-٩٩ .

١٨٤- يقال أن عدد حجراتها يبلغ ٣٦٥ حجرة بعدد أيام السنة .

١٨٥- تقع هذه الوكالة خلف تكية محمد بك أبو الذهب ، وبها الآن مراسم الفنانين التشكيليين، وقد قام الباحث سنة ١٩٦٥م بعرض انتاجه الفنى حينما كان طالبا بمعهد طنطا الدينى الثانوى ، وقد حصل الباحث على الجائزة الأولى فى الفنون العملية، وقابل فضيلة المرحوم الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر واستلم منه الجائزة ميدالية ذهبية وأسبوع إقامة بمدينة البعوث الإسلامية لمشاهدة معالم القاهرة . وقد أحسنت الحكومة صنعا حينما أعادت الصناعات التقليدية التى كانت فى عصر الغورى إلى هذه الوكالة على يد معلمين فى فنون الخيام وحفر الخشب (أويمة) والزجاج الملون المعشق بالجص وحفر وتكفيت النحاس بالفضة وصناعة الصدف والخشب الخرط والخزف ، وغير ذلك لأطفال صغار ، فأحيوا بذلك صناعات خان الخليلى التى كادت أن تنقرض، وهى مزار سياحى محلى ودولى ، ومازلنا فى دراستنا الميدانية لمادة الآثار والعمارة والكتابة والفنون الإسلامية لطلاب شعبه الحضارة والدراسات العليا بكلية اللغة العربية تكون هذه الوكالة ضمن خطة الدراسة فى كل فصل دراسى (الباحث).

١٨٦- شذرات الذهب، ، جـ٨ ص١١٣-١١٧، مجالس الغورى ، ص٢٣ .

١٨٧- د. حسن الباشا : القاهرة ، ص١٥٢ . وهذه المئذنة من التحف الإسلامية النادرة فى العالم الإسلامى ، فقد زخرفت بتلبيسات القيشانى الأزرق ، وفى بدنتها الثانية سلمين للطالع والنازل لايرى أحدهما الآخر، وهى حيلة فنية معمارية للمهندس الذى صنعها، وقد صعد الباحث إلى الرأسين ونبه إلى خطورة تآكل الحديد وسقوط الرأسين ، فقامت هيئة الآثار مشكورة بعمل ترابزين ورممت الجزء المتآكل منها .. إلا أن سلالمها كانت مليئة بالقطط الميتة والقذورات (الباحث) .

١٨٨- راجع عنها من الناحية المعمارية والفنية : د. حسن الباشا : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص١٤٩ ، ١٥٠ وما بعدها .

١٨٩- ترجمته فى بدائع الزهور ، جـ٤ ص٨٠ ، الأشرف قنصوه الغورى، ص٨٨ .

١٩٠- راجع : بدائع الزهور، جـ٤ ص٥٢ ، ٥٣ .

١٩١- راجع : بدائع الزهور، جـ٤ ص٣٩٩ ، مجالس الغورى ، ص٢٥-٢٧ ، د. عبد الرحمن زكى : القاهرة ، مرجع سابق ، ص١٦٧ ، شذرات الذهب ، جـ٨ ص١١٤ .

١٩٢- راجع : بدائع الزهور، جـ٤ ص٢٣٦ ، حجة وقف الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف ، ٥٠٠ ميكروفيلم بتاريخ ٢٠ صفر ٩١١هـ ، المجلس الأعلى للثقافة.

١٩٣- راجع : بدائع الزهور ، ج٤ ص٢٨٥ ، ٢٨٦ ، حجة وقف الغورى رقم ٤٨٨، ١٩ ميكروفيلم .

١٩٤- راجع : حجة وقف الغورى رقم ١٣٠ ، أوقاف ، ٥٠١ ميكروفيلم، بدائع الزهور: جـ٤ ص٢٠٣ .

١٩٥- بعد زيارة الباحث لمسجد السلطان الحنفى بالناصرية بالقاهرة، وجد مئذنة أيضا لها أربعة رؤوس.

١٩٦- د. عبد الوهاب عزام : مجالس الغورى، ص٢٤ ، الأشرف قنصوه الغورى، ص٨٨ ، ٨٩ .

١٩٧- بدائع الزهور ، ج٤ ص١٧٥ ، ١٧٦ .

١٩٨- راجع : بدائع الزهور ، جـ٤ ص٢٤٩ ، مجالس الغورى، ص٢٥ ، ويتكون هذا الجامع من صحن يحيط به أربعة أواوين أكبرها الايوان الشرقى، ويغطيها جميعا سقف ذو نقوش مموهة بالذهب ، وللصحن منور مستطيل لامثيل له. وأرضية الاواوين مغطاة برخام مختلف الألوان بديع الصنع.. ومكتوب على الجدران آيات بالخط الكوفى المغربى يقال أنها تمنع الذباب والهوام والحشرات ، وقد صليت به أكثر من مرة فوجدت ذلك صحيحا عكس غيره ، وقد اعتدى بعض التجار على جزء من المسجد واستولى عليه، وعمل به دورة مياه ، وكان الجامع مخزنا لتجار البهارات إلى أن تمكنت هيئة الآثار ووزارة الأوقاف من تنظيفه ، وبالجامع سلم يوصل إلى البئر وسلم آخر يوصل إلى مكان عميق تحت المسجد قيل أنه سجن ، كان الغورى يضع به أرباب الجرائم (الباحث) ، راجع : القاهرة لشحاته عيسى ابراهيم ص١٥٠ وما بعدها ، د. حسن الباشا : القاهرة ، ص١٥١ ، ١٥٢ .

١٩٩- بدائع الزهور، فى حوادث هذه السنين ، مجالس الغورى ، ص٣٠-٣١ .

٢٠٠- ص١١٦٣-١١٦٤ .

٢٠١- بدائع الزهور، جـ٤ ص٣٢١ .

٢٠٢- المرجع السابق ، جـ٤ ص٣٢٧ .

٢٠٣- المرجع السابق ، جـ٤ ص٢٠٢ (ط ألمانيا) .

٢٠٣- المرجع السابق، ص٣٠٩ .

٢٠٥- بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص١٢٠ ، ١٢١ .

٢٠٦- راجع ، ص٥، ٦ من كتاب نفائس المجالس تأليف حسين بن محمد الحسيني، تحقيق عبد الوهاب عزام .

٢٠٧- ص٧٢ ، ٧٩ .

٢٠٨- أى أن كلمة بحر إذا صحفت أصبحت «رجب» راجع ص٣٣ من نفائس المجالس.

٢٠٩- فقيل هو التين، راجع المرجع السابق ، ص٥١ .

٢١٠- راجع ص٤٨ من مجالس السلطان الغورى.

٢١١- راجع ص٥٢ ، ٥٣ من المرجع السابق .

٢١٢- قام الزميل أمين عبدالله سالم المدرس المساعد بكلية اللغة العربية فى «بى العرب» منوفية بإعداد رسالة ماجستير عن «تنبيهات الأشمونى على ألفية ابن مالك لأبى على الأشمونى» نوقشت سنة ١٩٧٨م ويوجد منها نسخة بكلية اللغة العربية بالقاهرة (الباحث) .

٢١٣- تراجم هؤلاء : الأعلام فى الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزى ، جـ١ .

٢١٤- راجع ص٢١-٢٣ من كتاب «الأشرف قنصوه الغورى» لمحمود رزق سليم .

٢١٥- تراجم هؤلاء موجودة بالتفصيل فى الكواكب السائرة للغزى جـ١ ص٢٨ ، ٢٩ من كتاب الأشرف قنصوه الغورى ، وسنتحدث عنهم بالتفصيل عند ذكر الأدباء فى هذا العصر .

٢١٦- راجع ص٢٠ من كتاب النفائس .

٢١٧- بدائع الزهور، حوادث رمضان ٩٢٢هـ، مجالس السلطان الغورى، ص٢٠ .

٢١٨- راجع نفائس المجالس، ص١٣٢ .

٢١٩- الأشرف قنصوه الغورى، ص١٧٦ ، ١٧٧ .

٢٢٠- مجالس السلطان الغورى ، ص٣٨ ، ٣٩ .

٢٢١- تبلغ هذه الكتب حوالى ٢٧ ألف كتاب ، ما زال بعضها داخل الصناديق كما أخبرنى بذلك المسئول

عن مكتبة قصر ثقافة الغورى، وهى بعض الكتب التى عثر عليها بمدرسة الغورى وكانت تتكون خزانة كتبها بعد أن استولى السلطان سليم على مصر وأخذ منها إلى استنبول كل غال ونفيس (الباحث) .

٢٢٢- الأشرف قنصوه الغورى، ص١٩١ ، مجالس الغورى، ص٤٥ ، ٤٦ .

٢٢٣- راجع ص٤٣ ، ٤٤ ، مجالس السلطان الغورى.

٢٢٤- راجع ص٥١ من كتاب مجالس السلطان الغورى، شذرات الذهب ، جـ٨ ص١١٤ .

٢٢٥- راجع ص٦١ من كتاب نفائس المجالس.

٢٢٦- راجع ص٦٦ ، ٧٥ ، ٨٦ من الكوكب الدرى فى مسائل الغورى، مرجع سابق .

٢٢٧- راجع : ص٣٤ من مجالس السلطان الغورى.

٢٢٨- الأشرف قنصوه الغورى: ص١٩١ ، ١٩٢ .

٢٢٩- للسلطان الغورى الآن حى بالقاهرة يعرف «بالغورية» نسبة إليه ، وقد تغنى الناس قديما وحديثا بالغورية . (الباحث) .

٢٣٠- بدائع الزهور ، حوادث رمضان ٩٢٢هـ، الأشرف قنصوه الغورى ص١٩٣ وما بعدها ، مجالس الغورى، ص٣٦ ، ٣٧ .

٢٣١- تنسب تجارة الكارم إلى «الكارمية» وهم كما تحدثنا عنهم الوثائق ، فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى فى التوابل وما إليها من السلع الأخرى، وكان مركز نشاطهم الأول فى المحيط الهندى (المجلة التاريخية، مجلد ٢٢ ، د. عطية القوصى ، ص١٧ ، ١٨) . وقد كان المحيط الهندى منذ القدم هو السوق التجارى الكبير الذى كانت تتجمع فى موانيه سلع الشرق الأقصى والهند وغيرها ، وقد اتخذ تجار سلع الشرق قواعد لهم فى موانىء ساحل الهند الغربى، وفى الخليج العربى، وعند مدخل البحر الأحمر الجنوبى، وكانت سفن الكارم تتردد على أكثر من عشرين ميناء على سواحل الهند الغربية .

وبرغم أن تاريخ نشأة تجار الكارم لم يتحدد بعد ، فإنه من المعروف أن هذه الجماعة نشأت فى المحيط الهندى وعلى الشاطىء الغربى للهند، وأنها وجدت هناك فى بداية الأمر على صورة ما ثم تطورت مع الزمن ومع التقدم الحضارى ، وصار هذا الاسم هو ما تعرف به هذه الجماعة ، وتوارثه من جاء بعدهم أو من تحولت إليه السيطرة التجارية فى أسواق الهند وغيرها (الشاطر بصيلى : الكارجة ، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ١٣ ، ١٩٦٦م، ص٢١٧) .

محاولات تفسير كلمة الكارمية: (المجلة التاريخية ، عدد ٢٢ ، ١٩٧٥ م، ص٢٤ ، ٢٥) لم يصل

المؤرخون بعد وحتى الآن إلى تفسير جازم لتسمية هؤلاد التجار بهذا الاسم، ويبدو أنه اسم عام لأنه ليست هناك كلمة فى اللغة العربية بهذا المعنى، وقد تعددت محاولات تفسير هذه الكلمة، فقد نقل (كاترمير) ما أورده القلقشندى من أن هذا الاسم مأخوذ عن (الكانم) وهى منطقة من السودان الغربى تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد، وأن هذا الاسم انتشر بين من اشتغلوا بتجارة البهار، بعد أن وقع فيه تصحيف وأصبح كارم (صبحى لبيب: التجارة الكارمية ص٦ وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، مستخرج من مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى، ١٩٥٢م) .

ويفترض ليتمان أن هذا الاسم قد أخذ عن متاجر التجار نفسها ، إذ وجد أن لفظ (كورارما) الأمهرية تعنى الحبهان وهو من التوابل التى تاجروا فيها، ثم حرفت هذه الكلمة وأصبحت (كارم) وأطلقت على هؤلاء التجار (صبحى لبيب ، ص٦) ، والتفسير الجديد لكلمة (كارم) الذى أورده جواتين المستشرق، مفاده أن أصل هذه الكلمة ليس عربيا ، ولكنه هندى، ذلك لأن لغة جنوب الهند (التامل) توجد بها كلمة (كاربام) ، وهى تعنى فيما تعنى من أشياء أخرى : «الأعمال» أو الأشغال، ولما كانت أعمال أهالى الساحل الهندى الغربى مع تجار الشرق الأوسط تتعلق بالتجارة ، فمن المحتمل أن أصحاب هذه السفن أو التجار الذين عملوا فى ذلك المضمار قد عرفوا وأطلق عليهم أهالى الهند هذا الاسم . وجاء مع هذه التفسيرات تفسير جديد آخر وهو الأكثر قبولا من غيره أورده الأستاذ الشاطر بصيلى ، فى مقال له عن الكارمية (ص١٧) ورد فى ذلك التفسير أننا إذا قسمنا لفظة (كارم) قسمين لوجدناها تتكون من (كار) فى المقطع الأول ثم (يم) فى المقطع الثانى، وكان معناها الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة ... الخ ، و(يم) معناها المحيط أو البحر البعيد الشواطىء، أو النهر الكبير، ثم سقط حرف الياء من (كاريم) فأصبحت (كارم) وأن معنى الكلمة- حسب هذا التفسير- هو حرفة التجارة فى أعالى البحار.

٢٣٢- مجلة الجمعية التاريخية، مجلد ٢٢ ، ١٩٧٥ ، ص٣٢ ، ٣٣ .

٢٣٣- صبح الأعشى ، جـ٤ ص٣٢ .

٢٣٤- مجلة الجمعية التاريخية ، مصدر سابق، ص٣٠ ، ٣١ .

٢٣٥- صبح الأعشى ، المرجع السابق ، جـ٤ ص٢٦ .

٢٣٦- صبح الأعشى - نفس المرجع ج٤ ص٢٧ .

٢٣٧- يذكر السخاوى فى ترجمة رئيس التجار على بن محمد النور بن الجلال الطنبدى المصرى «أنه كان يقرض الناس من المحتاجين بدون ربح وكان حسن المعاملة كثير البر» ، الضوء اللامع ، جـ٦ ص٣٠ .

٢٣٨- يحدثنا ابن الصيرفى عن غياث الدين محمد بن خواجا على بن نجم الكيلانى المولود فى حدود ٧٧٠هـ- ١٣٦٨م، كان أبوه من أعيان التجار فأشغله بالعلم بحيث كان يبتاع له الكتاب الواحد بمائة دينار . نزهة النفوس، جـ٢ ص٤٣١ .

٢٣٩- الضوء اللامع، جـ٣ ص٣٢ ، ٣٣ .

٢٤٠- بدائع الزهور ، جـ١ قسم ٢ (ط المانيا) ص٦٩١ .

٢٤١- نزهة النفوس ، ج٢ ص١٩٣ .

٢٤٢- المنهل الصافى ، ج١ ص١١١ ، ١١٢ .

٢٤٣- بدائع الزهور ، ج١ قسم ٢ (ط ألمانيا) ص٦٩١ .

٢٤٤- الضوء اللامع جـ٣ ص١٠١ ، نمرة ٤٠٦ .

٢٤٥- نوير: قرية من صعيد مصر الأدنى على مسافة يوم للراكب منها إلى القاهرة، والميمون: قرية أقرب للقاهرة من النويرة بنحو نصف بريد. الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص٢٤٦-٢٤٨ ، نمرة ٥٩٨ .

٢٤٦- المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

٢٤٧- الضوء اللامع ، جـ١ ص٤١ ، ٤٢ .

٢٤٨- محمد محمود زيتون : إقليم البحيرة ، ص٤٨٥ .

٢٤٩- الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص١٠٦ ، نمرة ٣٦٩ .

٢٥٠- المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٧٠ ، نمرة ٢٣٨ .

٢٥١- النجوم الزاهرة ، ج١٦ ، ص٣١٨ .

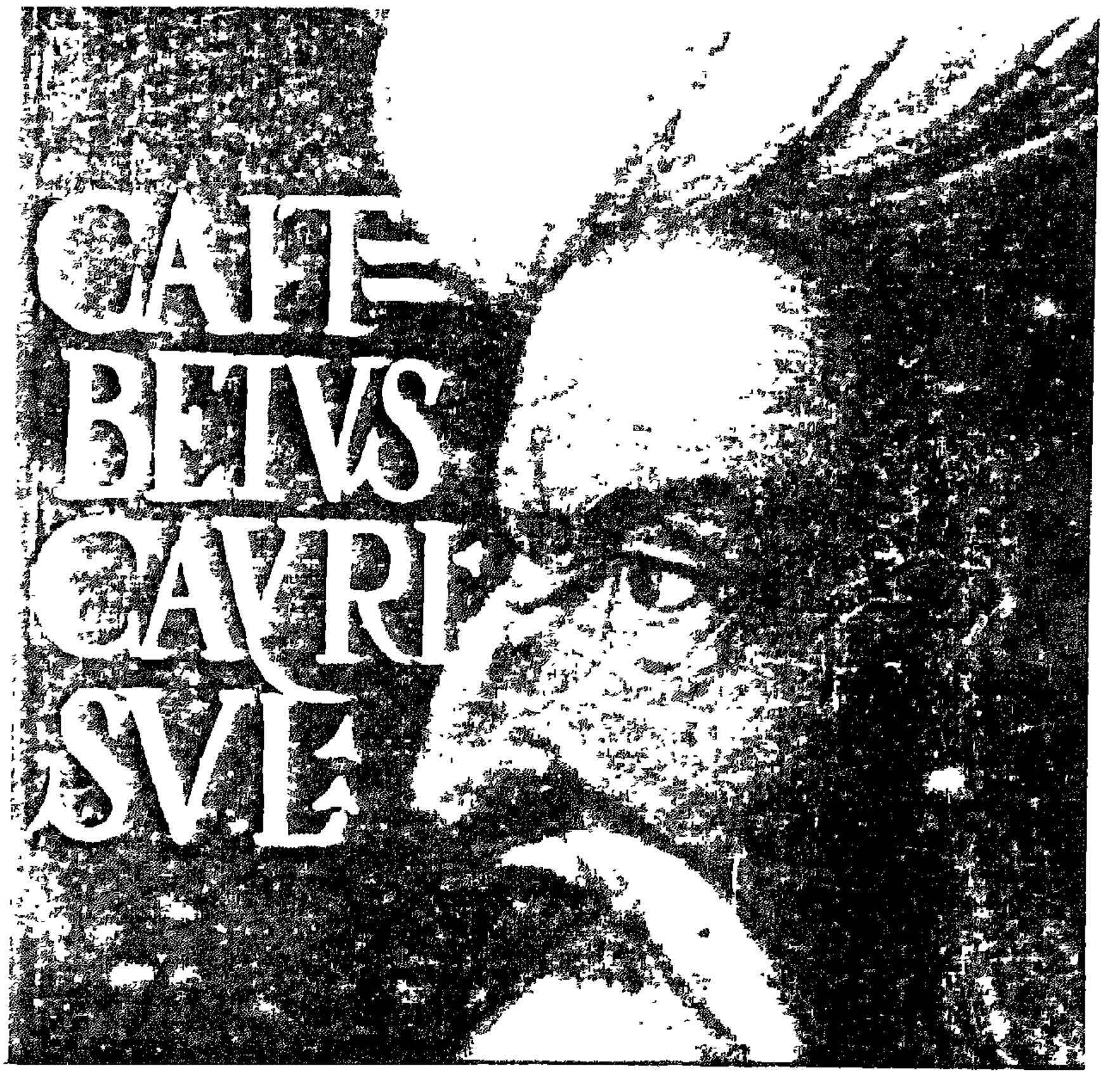

صورة للسلطان أبو النصر الأشرف قايتباى

والأصل فى أرشيف الباحث عن صورة بالمتحف الحربى .المرجع رسالتنا للدكتوراه غير منشورة «الحركة العلمية فى عصر سلاطين المماليك البرجية ودور الأزهر فيها» كلية اللغة العربية سنة ١٩٨١م ج٢ ص٠٥٠١ .

راجع التقرير التاسع والأربعون بعد المائة للقومسيون الثانى محضر الجلسة نمرة٥٧ رقم٣ ص٧٦-٧٧ (المجموعة التاسعة) من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية ، وتقرير القومسيون الثانى عن سنة ١٨٩٢ أفرنكية .

(٣) وكالة قايتباى بالنسر وجيه

فى أثناء مرور القومسيون الثانى وقف أمام بقايا وكالة قايتباى لمعاينة الكتابه الحفر البارزة على أعتاب الموارد التى كانت حاملة للدور الاول المتلاشى بالكامل وهذه الكتابة هى المنوه عنها فى تقريره نمرة ١٤٦ فلو قايته وحفظ تلك الكتابة يستحسن القومسيون أخذ تعهد على كل سكان وملاك الوكالة بعدم تسمير أو تركيب أى شئ على الاعتاب

وهذا هو نص الكتابة المذكورة

(أمر بانشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين صاحب الديار المصريه والبلاد الشاميه والاعمال الفراتية والقلاع الرومية والحصون الاسماعيلية والثغور السكندرية صاحب السيف والقلم والتبل والعلم أفضل من حكم فى عصره بالحكم صاحب البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين)

(اللهم أدم العز والبقاء والعلو والارتقاء والنصر على الاعداء بسيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين حامى حوزة الدين أبو الفقراء والمساكين كهف الارامل والمنقطعين منصف المظلومين من الظالمين الملك المكرم والخاقان المعظم أبو المعالى والهم سيد ملوك العرب والعجم والترك والديلم أفضل من حكم فى عصره بالحكم عبدك وابن عبدك القائم بشريعتك وفرضك سيفك المرهف السلطان المالك الملك الاشرف أبو النصر قايتباى عز نصره)

نص اللوحة التأسيسيّة لوكالة قايتباى وهو شىء نادر لاوجود له الآن فى بقاياها (الباحث)

التقرير السادس والخمسون بعد المائة للقومسيون الثانى محضر نمرة ٥٩ رقم٥ ص٧٢ ، ٧٥ والصورة بعدهما من المجموعة العاشرة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية وتقارير القومسيون الثانى سنة ١٨٩٣ أفرنكية .

(٥) وكالة قايتباى

طلبت نظارة الاشغال العمومية سرعة هدم الجزء المخل من المنزل وقف مناو و باحالة هذا الطلب من ديوان الاوقاف على مهندس الآثار رأى أن المنزل المذكور هو بقايا وكالة السلطان قايتباى التى تكلمت عنها اللجنة أخيرا وقد أجرى حالا شد وصلب الجزء المقول عنه ولما عاين القومسيون الثانى الوكالة يوم تاريخه وجد أن الدور الارضى لهذا الاثر غائص فى الارض أكثر من متر ونصف وقد أثرت عليه الترميمات المتعددة تاثيرا جسيما وصار فى حالة التلف الزائد الامر الذى يوجب تجديد وجهته بأكملها حفظا لاعتاب الابواب وعليه يطلب القومسيون من اللجنة عدم تسجيل هذا المكان ضمن الآثار اللازم حفظها وانما يصير التشديد فى نقل الافريز الخشب المستطيل الموجود عليه كتابة (انظر التقرير نمرة ١٥٠) الى الانتيكخانه العربيه وان كل الاجزاء الصناعية الثمينة يجرى اعادة استعمالها فى العمارة الجديدة التى فى عزم الحكومة عملها على ذمة الكتبخانة الخديوية والانتيكخانة العربية اذا اقتضت الحال لهدم هذا المحل ولهذه الغائية يقتضى فك كل مبادى الادوات المذكورة بغاية الاعتناء ونقلها الى مخزن الاوقاف لحفظها به كما هو لازم ووقايتها من التلف والتأثيرات الجوية وقبل الهدم يتعين على المسيو هرتس أن يأخذ بعض مناظر بالفتوغرافيه من الوجهة الموجودة ويجهز الرسومات الضرورية التى يمكن بواسطتها معرفة المحل الذى كانت كل قطعة محفوظة فيه ثم اعتمد القومسيون تكاليف الشدة الوقتية التى أمر بها المهندس البالغ قدرها ٧٠٠ مليم

وصف لحالة وكالة قايتباى المتردية سنة ١٨٩٣م

وجهة وكالة السلطان قايتباى بشارع السروجية بالقاهرة سنة ١٨٩٣م

(فتوغرافية ليكچيان وشركاه)

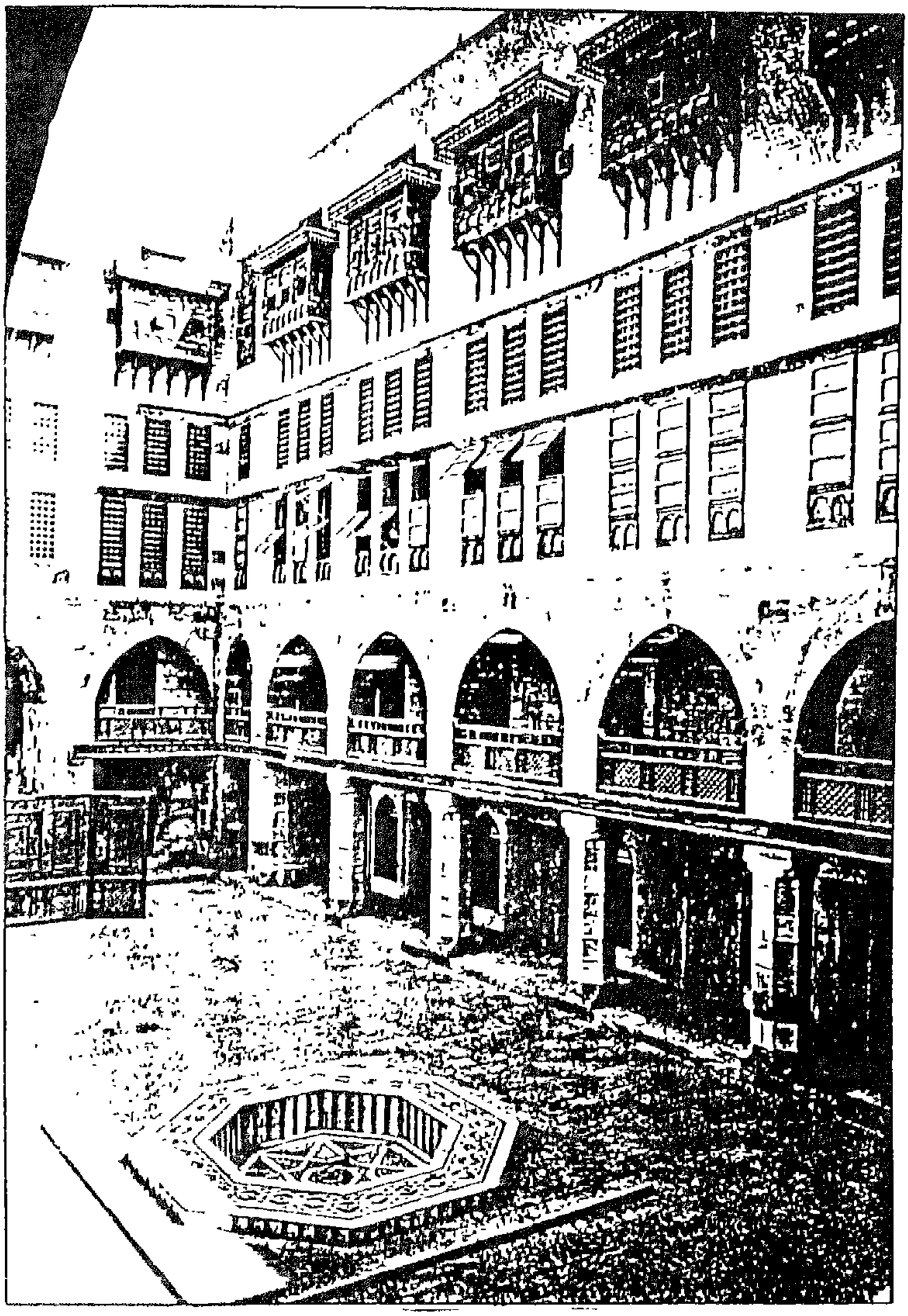

(لوحة 317) مصر ـ القاهرة

وكالة الغورى - منظر داخلى -٩٠٩-٩١٠هـ/ ١٥٠٣-١٥٠٤م

نقلا عن د. حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ص٢٤١ مكتبة الدار العربية للكتاب مجلد٤ ط أولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

(السلطان الغورى)

نقلا عن كتاب مجالس السلطان الغورى للدكتور عبد الوهاب عزام

المرجع رسالتنا للدكتوراه «الحركة العلمية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك البرجية ودور الأزهر فيها » ج٢ ص١٠٥٤ سنة ١٩٨١م كلية اللغة العربية جامعة الأزهر غير منشورة